الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي

جامعة البليدة علي لونيسي

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

التّغير الاجتماعي

مطبوعة مُوجّهة لطُلاّب

السّنة الثانية ليسانس علم الاجتماع

إعداد الدكتور:

حسين حميدة

السنة الجامعية 2022 / 2023

تقديم :

إن مقياس التغير الاجتماعي مُهمّ جدًا بالنسبة للتّحليل السُّوسيولوجي ، ومُهمّ أيضًا أن يعرف طالب (ة) علم الاجتماع أن موضوع التغير كان في القرن 19 م ـ أي بدايات التأسيس لهذا الحقل المعرفي ـ من أهم المسائل في علم الاجتماع ، بل و من أصعبها .

و أصبح البحث عن وعاء نظري لمفهوم التغير الاجتماعي أو الديناميات الاجتماعية التي تكشف عن قوانين الحركة و التغير في المجتمع الأوروبي خاصة و في المجتمعات الأخرى عامة ، يمثل العناصر المحورية في بحوث علم الاجتماع في القرن 19 م ، كما كان ظهور المجتمع الرأسمالي و الحركات الثورية الاجتماعية بما في ذلك النمو الحضري و توسع المدن و تطور الاتجاه الصناعي و تنقل الأفراد وهجرتهم وظهور أفكار جديدة و جماعات جديدة هو الدافع الأساسي للتحليل السوسيولوجي للتغير ، و الذي أصبح يتطلب الإجابة على بعض التساؤلات المفتاحية :

ـ ما هي الأجزاء بالضبط التي تتغير في المجتمع ؟

ـ كيف تتغير ؟

ـ هل للتغير معدل زمني مثلا ؟ ما هو ؟ و كيف يقاس ؟

ـ هل التغير نفسه في كل المجتمعات ؟

ـ ما هو اتجاه التغير ؟

ـ ما هي العوامل الأساسية للتغير الاجتماعي ؟

ـ لماذا التغير كان ممكنا في مجتمع و لم يكن كذلك في مجتمع آخر ؟

ـ ماهي العوامل الرئيسية في التغير الاجتماعي ؟

هذه المطبوعة تجيب على التساؤلات السابقة ، ضمن جملة من المفاهيم الأساسية و مقاربة معرفية و منهجية ووفق برنامج مُوجّه لطلاب السنة الثانية علم الاجتماع .

د . حسين حميدة

محتويات المطبوعة

رقم المحاضرة	عنوان المحاضرة	الصفحة
1	مَدخل .. لابدّ منه	5
2	أهمية مقياس التغير الاجتماعي	8
3	مفاهيم أساسية (1)	11
4	مفاهيم أساسية (2)	17
5	مفهوم التغير الاجتماعي	20
6	نظريات التغير الاجتماعي	22
7	مفاهيم حول التغير الاجتماعي	25
8	التغير الثقافي و التغير الاجتماعي	30
9	ملامح التغير الاجتماعي (1) الأسرة	34
10	ملامح التغير الاجتماعي (2) التعليم و العمران	39
11	عوامل التغير الاجتماعي	40
12	عوائق التغير الاجتماعي	42
13	فلسفة التغيير الاجتماعي	45
14	التخطيط الاجتماعي	46
15	الفعل الاجتماعي	49
16	الفاعلون الاجتماعيون (1) ..النخبة	50
17	الفاعلون الاجتماعيون (2) .. أنواع النخبة	55
18	الفاعلون الاجتماعيون (3) .. النخبة منتوج اجتماعي / مميزات النخبة	58
19	النخبة في المجتمع الجزائري	61
20	دور الحركات الاجتماعية في التغيير	71
21	دور المجتمع المدني في التغيير	72
22	دور وسائل الإعلام في التغيير	76
23	العولمة و التغيير	78

السُّداسي الثّالث

التّغير الاجتماعي

المحاضرة رقم 1 :

مدخل .. لابدّ منه

1 / أهمية مؤسسة الجامعة

2 / خصائص التعليم الجامعي

3 / أهمية التفكير العلمي

4 / ماهية علم الاجتماع و أهميته

---

1 / **أهمية مؤسسة الجامعة** :

أ ـ تطوير وتحسين المستوى التعليمي

ب ـ الحصول على الشهادة العلمية

ج ـ الاحتكاك بالعلماء و الباحثين و الأساتذة

2 / **خصائص التعليم الجامعي** :

أ ـ تتعامل الجامعة بالأفكار والتي تصبح فيما بعد **مشاريع بحث** و **أدوات** و **مفاهيم**

ب ـ أهمية المفاهيم و استخدام القواميس العلمية

ج ـ الاعتماد على النفس من خلال : ـ حضور الدروس

ـ المشاركة الفعالة في الدروس التطبيقية

ـ المطالعة

ـ المناقشة

3 / **أهمية التفكير العلمي** :

ـ الرّوح العلمية : هي الدافع و القوة التي تقف وراء الشعور بقبول الشروط الموضوعية لإقامة البحث العلمي ، و الاستعداد للعمل بحذر مع التراكمات العلمية و الابتعاد ما أمكن عن الأفكار المسبقة و استبدالها بالفروض العلمية (تحديد إجرائي لصاحب المطبوعة) .

ـ الملاحظة العلمية وخصائصها :

أ / العمق

ب / الشمول

ج / الدقة

د / الموضوعية

4 / ماهية علم الاجتماع و أهميته :

يكاد يكون هناك اتفاق بين علماء الاجتماع أن تحديد ماهية هذا العلم تتجه نحو الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي أو الفعل الاجتماعي للكائنات الانسانية ، إلا أن هناك اختلاف حول طبيعة المنهج العلمي المستخدم في دراسة الظواهر الاجتماعية ، والمفاهيم الأساسية لهذا العلم ، ونطاق الظواهر التي تشكل موضوع الدراسة فيه .

يقوم علم الاجتماع بالدراسة العلمية للمجتمع ، **دراسة وصفية تحليلية تفسيرية مقارنة** كما تبدو من الزمان و المكان للتوصل إلى قوانين التطور التي يخضع لها المجتمع في تغيره ، وهكذا يمكن القول بأن أهداف علم الاجتماع تتحدد في **تفسير وتقنين** نشأة الظواهر الاجتماعية وظهور الجماعات و المؤسسات الاجتماعية و العمليات الاطرادية و الظواهر المختلفة كالثقافة و الشخصية و التغير و التنبؤ بها و التحكم فيها .(طلعت همّام ، 1989 ، ص6)

الدراسة العلمية للمجتمع هي :

ـ استخدام المنهج العلمي في دراسة الظاهرة الاجتماعية

ـ تحليل الظواهر للتوصل إلى عناصرها المختلفة

ـ الكشف عن العلاقة بينها وبين غيرها من الظواهر بصورة توضح أسبابها و مراحلها .

و المنهج العلمي هو المنهج الذي يهدف إلى التوصل إلى القوانين وفق قواعد أساسية :

أ ـ الموضوعية : وهو تجرد الباحث عن كل غرض شخصي

ب ـ دراسة الظواهر الاجتماعية كشيء

ج ـ التجرد من الأفكار المسبقة

د ـ دراسة الظاهرة كما هي لا كما يجب أن تكون

هـ ـ الشك العلمي

و ـ الدقة

المحاضرة رقم 2 :

أهمّية مقياس التّغير الاجتماعي

1 / أهمية مقياس التغير الاجتماعي :

إن مقياس التغير الاجتماعي مهم جدا بالنسبة للتحليل السوسيولوجي ، ومهم أيضا أن يعرف طالب (ة) علم الاجتماع أن موضوع التغير كان في القرن 19 م ـ أي بدايات التأسيس لهذا الحقل المعرفي ـ من أهم المسائل في علم الاجتماع ، بل و من أصعبها ، فقد حاول " أوجست كونت " و بعض علماء القرن التاسع عشر تحديد عوامل التغير الاجتماعي و اتجاهاته و خاصة بعد النتائج التي طرحتها كلّ من :

أ / الثورة السياسية في فرنسا (دعوة الطالب(ة) للمطالعة)

ب / الثورة الصناعية في انجلترا (دعوة الطالب(ة) للمطالعة)

و أصبح البحث عن وعاء نظري لمفهوم التغير الاجتماعي أو الديناميات الاجتماعية التي تكشف عن قوانين الحركة و التغير في المجتمع الأوروبي خاصة و في المجتمعات الأخرى عامة ، يمثل العناصر المحورية في بحوث علم الاجتماع في القرن 19 م ، كما كان ظهور المجتمع الرأسمالي و الحركات الثورية الاجتماعية بما في ذلك النمو الحضري و توسع المدن و تطور الاتجاه الصناعي و تنقل الأفراد وهجرتهم وظهور أفكار جديدة و جماعات جديدة هو الدافع الأساسي للتحليل السوسيولوجي للتغير ، و الذي أصبح يتطلب الإجابة على بعض التساؤلات المفتاحية :

ـ ما هي الأجزاء بالضبط التي تتغير في المجتمع ؟

ـ كيف تتغير ؟

ـ هل للتغير معدل زمني مثلا ؟ ما هو ؟ و كيف يقاس ؟

ـ هل التغير نفسه في كل المجتمعات ؟

ـ ما هو اتجاه التغير ؟

ـ ما هي العوامل الأساسية للتغير الاجتماعي ؟

ـ لماذا التغير كان ممكنا في مجتمع و لم يكن كذلك في مجتمع آخر ؟

ـ ماهي العوامل الرئيسية في التغير الاجتماعي ؟ (محمد عاطف غيث ، 1989 ، ص415)

و غيرها من التساؤلات .

2 / مضمون مقياس التغير الاجتماعي :

هذه المطبوعة موجهة لطلاب السنة الثانية ليسانس علم الاجتماع ، وفق برنامج وحدة التعليم : التغير الاجتماعي ، وهي وحدة سنوية :

السداسي الثالث :

أولا ـ مفهوم التغير الاجتماعي (مفاهيم مشابهة للتغير : التقدم ـ التطور ـ التحول ـ النمو ـ التنمية ....)

ثانيا ـ عوامل التغير الاجتماعي

1 ـ العوامل الفيزيقية

2 ـ العوامل الديموغرافية

3 ـ العوامل الاقتصادية

4 ـ العوامل التكنولوجية

5 ـ العوامل السياسية

6 ـ العوامل الفكرية و الإيديولوجية

ثالثا ـ نظريات التغير الاجتماعية

1 ـ النظرية الحتمية

2 ـ النظرية البنائية الوظيفية

3 ـ نظرية الصراع

4 ـ النظرية التطورية

5 ـ النظرية التفاعلية

رابعا ـ معوقات التغير الاجتماعية

خامسا ـ أنماط التغير الاجتماعي (التطور ـ الإنتشار ـ التمثل الثقافي ـ التحديث ـ التحضر ...)

سادسا ـ مجالات التغير الاجتماعي (الأسرة ـ السكان ـ التعليم ـ الاقتصاد ...)

السداسي الرابع :

أولا ـ الفاعلون الاجتماعيون :

1 ـ الفعل الاجتماعي و النخب

2 ـ الحركات الاجتماعية و الجماعات الضاغطة

ثانيا ـ التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي المعاصر

ثالثا ـ التغير الاجتماعي و الثورات العربية

رابعا ـ دور وسائل الإعلام في التغيير الاجتماعي

خامسا ـ العولمة و التغيير الاجتماعي

سادسا ـ مقاومة التغيير الاجتماعي

ملاحظة :

1 / مصدر هذا البرنامج وزارة التعليم العالي

2 / هذا المضمون خضع لتعديلات وإضافات و إعادة ترتيب من طرف صاحب هذه المطبوعة مع تسجيل الحفاظ على المحاور الكبرى للبرنامج والأهداف الأساسية .

المحاضرة رقم 3 :

مفاهيم أساسية (1)

كثيرة هي المفاهيم و المصطلحات العلمية كأبعاد و مؤشرات سوسيولوجية تساعد البحث في بناء المفهوم المركزي و هو التغير الاجتماعي ، فأردنا عرض أهمها :

المجتمع :

هو مفهوم يشير إلى جوانب هامة من الحياة الاجتماعية ، فالمعنى العام يعني مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس ، كما يعني من جهة أخرى ، جماعة يعيشون معا في منطقة معينة ، وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ، ومختلفة عن غيرها ، و شعور بالوحدة ، كما ينظرون إلى أنفسهم ككيان متميز ، ويتميز المجتمع ببنيان من الأدوار المتصلة ببعضها و التي تتبع من سلوكها المعايير الاجتماعية ، ويتضمن المجتمع جميع النظم الاجتماعية الأساسية الضرورية لمواجهة الحاجات البشرية الأساسية و هو يشمل جميع الأشكال التنظيمية الضرورية لبقائه .(محمد عاطف غيث ، القاموس ، 1989 ، ص 451)

وهنا إشارة إلى عنصرين هامين و أساسين في التحليل السوسيولوجي :

1 / أن الإنسان يعيش في جماعات

2 / أن السلوك يتأثر بالمعايير و القيم الاجتماعية

كما أكد علماء الاجتماع أن المجتمع ليس مجرد اسم يطلق على عدد من الأفراد ، ولكنه وحدة كلية متميزة تفوق الوجود الفردي ، وقد اعتبرت هذه الوجهة النظرية قاعدة أساسية في البحوث السوسيولوجية .

البناء الاجتماعي :

هو النمط المقرر لأي نظام داخلي لجماعة ما ، ويتضمن مجموع العلاقات الموجودة بين أعضاء الجماعة بعضهم البعض ، وبينهم و بين الجماعات نفسها ، وهو إطار المجتمع كعلاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة كالتجمعات و التكتلات القائمة على القرابة و الجنس والسن و المصلحة المشتركة و المكانة و الدور .

وقد أخذ علماء الاجتماع التحليليون (أمثال : فون فيزه و بيكر و هيلر وغيرهم ...) على عاتقهم تحديدا خاصا لمفهوم البناء الاجتماعي من مؤشراته :

أ / ترتيب للوضعيات و المراكز

ب / شبكة من العلاقات و التفاعلات بين الأشخاص و الفاعلين

(محمد عاطف غيث ، القاموس ، 1989 ، ص 443)

كما يحدد البناء الاجتماعي كمصطلح يشير إلى نوع من الترتيب بين مجموعة نظم يعتمد بعضها على بعض ، وتعتبر وحدات البناء الاجتماعي هي ذاتها بناءات فرعية ، والافتراض الأساسي هنا هو أن التكامل أو بقاء الكل يتوقف على العلاقات بين الأجزاء و أدائها لوظائفها .

النسق الاجتماعي :

هو أية وحدة اجتماعية تؤدي وظيفة ، كما يقصد به مجموعة معينة من الأفعال و التفاعلات بين الأشخاص الذين توجد بينهم صلات متبادلة ، ويتكون النسق الاجتماعي بصفة أساسية من شخصين أو أكثر يتفاعلان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في موقف مشترك ، وقد تكون هناك حواجز مكانية أو طبيعية ، إلا أن الأفراد يتوجهون نحو مركز مشترك أو نقطة ذات ارتباط متبادل ، كما ميز علماء الاجتماع النسق الثقافي الذي يشتمل على المعتقدات الفعلية و الأنساق الملموسة للقيم و الوسائل الرمزية للاتصال ، ومن جهة أخرى يشير النسق الاجتماعي إلى أنماط التفاعل و التنظيم مثل بناء السلطة في تنظيم ما و تقسيم العمل في الأسرة و وظائفها المختلفة (المرجع السابق ، ص447) ويستخدم بعض علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا مصطلحاً آخراً وهو التنظيم الاجتماعي وله علاقة مع مفهوم الوظيفة و الدور .

التنظيم الاجتماعي :

هو نمط مستقر نسبيا من العلاقات الاجتماعية و الأنشطة المختلفة داخل المجتمع أو جماعة و يقوم على أنساق من الأدوار الاجتماعية و المعايير و المفاهيم المشتركة التي تستهدف تنظيم الحياة الاجتماعية و تحقيق الأغراض و الغايات التي ينشدها المجتمع .

و يستخدم معظم العلماء مصطلح التنظيم الاجتماعي و البناء الاجتماعي بالتبادل ، إلا أن علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية يرون أن هناك فرقا بينهما فيعرّفون البناء الاجتماعي بأنه ترتيب

للأفراد في علاقات مؤسساتية في حين يعرّف التنظيم الاجتماعي بأنه ترتيب للأنشطة الاجتماعية .

دور التنظيم الاجتماعي :

هو يشمل النسق الذي ترتبط بواسطته أجزاء المجتمع بعضها ببعض من ناحية و بالمجتمع ككل من ناحية أخرى . وهو نسق من الأدوار الاجتماعية ، ومنه تصبح وحدات التنظيم الاجتماعي هي أوجه النشاط نفسها و ليست الأشخاص .

ومما سبق ، يمكن القول أن هناك صلة واضحة بين التنظيم الاجتماعي و تقسيم العمل الاجتماعي وهكذا يمكن أيضا القول أن التنظيم الاجتماعي لا يوجد إلا على أساس عمليتين رئيستين :

1 / عملية الاختلاف : والتي تتميز عن طريقها أجزاء المجتمع ولكل جزء وظيفة خاصة به

2 / عملية التكامل : والتي عن طريقها تصبح الأجزاء المختلفة متآلفة ومتكاملة .(طلعت همّام ، 1989 ، ص 56)

الدور و المكانة (المركز) :

يرتبط وضع الفرد بدوره في الجماعة ، فهو ينطوي على الوظيفة و العملية ، عندها يمكن القول أن الشخص يشغل مكانة اجتماعية داخل الجماعة ، والدور هو نمط السلوك الذي تنتظره الجماعة وتتطلب من فرد ذي مكانة معينة فيها ، فما هو منتظر من المرأة غير ما ينظر من الرجل ، وما يتوقع من الراشد ليس هو نفسه ما يتوقع من الطفل الصغير .

و الفرد في حياته يقوم بأكثر من دور واحد في اليوم الواحد .. فالطالب(ة) الجامعي(ة) ابن(ة) وأخ (ت) في الأسرة وهو(ي) زميل (ة) في الجامعة و عضو(ة) في النادي الرياضي أو في الجمعية الثقافية و مؤثر(ة) في الوسائط الإعلامية وهكذا.. ولكل دور مكانة معينة و محددة وزمان و مكان و مضمون (محتوى) و طاقة .

ملاحظات هامة :

1 / إذا انسجمت الأدوار للفرد الواحد فهذا يحقق له التوازن و التكامل و إذا تصارعت الأدوار للفرد الواحد وتنافرت فهذا يتعبه و يكون له أثر سيء على **شخصيته واتجاهاته (مواقفه)**.

2 / إذا تم الانتقال من دور سابق إلى دور جديد فهذا يتطلب تكيفا (فطاما) حتى يستطيع شيئا فشيئا التموضع من جديد و التنازل في بعض الأحيان عن عادات مألوفة و تبني عادات جديدة غير مألوفة ، أمثلة عن ذلك :

- دخول الطفل إلى المدرسة و اليوم الأول
- بلوغ الطفل (ة)
- الانتقال من الثانوية إلى الجامعة
- تغيير المسكن أو المدينة
- اليوم الأول في عالم الشغل
- اليوم الأول في المعسكر
- الحياة الزوجية
- الإنجاب
- اليوم الأول في التقاعد

تقسيم العمل :

هو نسق ذو وظائف متكاملة ، يتألف من مجموعة من الأدوار أو التخصصات المهنية في مجتمع معين ، و قد كان تصور تقسيم العمل في المجتمع بمثابة أداة نظرية استخدمت بوضوح في التحليل السوسيولوجي و هو يعني كل المجتمعات البسيطة منها و المعقدة ، و يعتبر متغير السن و متغير الجنس أساس التمييز بين الأنشطة المهنية ، إضافة إلى متغير التخصص الذي يشير بدوره إلى الخصائص النوعية للأفراد أو الجماعات أو المشروعات الاقتصادية أو النظم الاجتماعية ، كما يتميز بشمول طائفة كبيرة من الظواهر الاجتماعية و الاقتصادية و البيولوجية

و التكنولوجية ، بينما يتعلق تقسيم العمل ـ كمفهوم ـ بالمهام المتخصصة التي يؤديها الفرد أو الجماعة و النتائج الاجتماعية و الاقتصادية لها . (غيث عاطف ، 1989 ، ص 138)

القيم الاجتماعية :

هي أحكام تُطلق على الأشخاص و الأشياء و المعاني ، وهي الخبرة المتراكمة ،ُتكتسب عن طريق التنشئة الاجتماعية في الأسرة و المدرسة و الأصدقاء و الجامع و الإعلام و غيرها من المؤسسات ، فيتعلّمها الفرد كمُوجّهات لسلوكه الاجتماعي و يُوظّفها في حياته اليومية و في تعامله و تفاعله مع الجماعة ، وبهذا المعنى فالقيمة تدلنا على ما ينبغي أن نفعل و ما لا ينبغي فعله .(همّام طلعت ، 1989 ، ص 86)

والقيمة مفهوم مجرد ضمني غالبا ما يعبر عن الفضل أو الامتياز أو درجة الفضل الذي يرتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني و من أمثلتها : القوة و الجمال و العلم و الإيمان و الثروة والنظافة .

و هي أنواع متعددة على حسب الأساس أو المعيار الذي نصنف به هذه القيم :

ـ قيم أخلاقية

ـ قيم اجتماعية

ـ قيم منطقية أو علمية

ـ قيم دينية

ـ قيم جمالية

ـ قيم إنسانية

ـ قيم مثالية

ـ قيم اقتصادية

ـ قيم سياسية ...

ففي كل جماعة و في كل مجتمع تنتظم مجموعة من القيم يشترك فيها الناس و تنظم سلوكهم الاجتماعي ويطلق على هذا نظام القيم ، ويلاحظ أن القيم تؤثر على بناء التصورات و الإدراك

المؤدي إلى السلوك من خلال التنشئة الاجتماعية و تؤثر في الحياة العملية وفي بناء التوجهات و المواقف و في الإرشاد و حتى العلاج النفسي .(حميدة حسين ، 2011 ، ص61)

السلوك الاجتماعي :

ما وراء البرمجة (مؤسسات التنشئة الاجتماعية) ← القيم ← الدوافع ← الإدراك و الأفكار والتصورات ← الشعور و الأحاسيس ← **السلوك**

(أثناء إلقاء المحاضرة ، يُفضل أن تكتب هذه المعادلة على السبورة حتى يمكن الطالب (ة) من فهم مصطلح السلوك بشكل جيد)

سلوك شخص أو مجموعة أشخاص يحدث استجابة لسلوك أشخاص آخرين ، دون أن يكون لهؤلاء الأشخاص وجود فيزيقي ، وهذا يعني أن الشخص يستجيب في ضوء توقعه لسلوك الآخرين ، فالسلوك الاجتماعي برغم أنه يمثل استجابة لأشخاص أو جماعات أخرى ، فإنه قد لا يشتمل على الوجود الفيزيقي لأكثر من شخص واحد ، ولهذا المفهوم علاقة جد وطيدة بمفاهيم أخرى أساسية مثل :

1 / **الفعل الاجتماعي** : هناك بعض الباحثين يستخدمون مصطلحي فعل و سلوك بمعنى واحد ، إلا أن اصطلاح السلوك أعم من الفعل ، لأنه يشتمل على كل ما يمارسه الفرد و يفكر فيه ويشعر به ، بغض النظر عن القصد و المعنى الذي ينطوي عليه السلوك بالنسبة للفرد

2 / **التفاعلية الرمزية** : ظهر هذا المفهوم في بداية الثلاثينيات مع " هربرت ميد " عالم الاجتماع الأمريكي ، وقد اعتبره واحداً من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية السوسيولوجية في تحليل الأنساق الاجتماعية ، وهي تبدأ بمستوى تحليل الوحدات الصغرى منها بالوحدات الكبرى ، أي تبدأ بالأفراد و سلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي ، ثمّ أفعال الأفراد تصبح ثابتة لتشكّل بنية من الأدوار ، كما يمكن اعتبار هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من حيث المعاني و الرموز ، وهنا يصبح التركيز إما على بنى الأدوار والأنساق الاجتماعية أو على سلوك الدور و الفعل الاجتماعي ، وهي نظرية تهتم أساساً بالتفاعل الرمزي المتشكّل عبر اللغة و المعاني و الصور الذهنية ، استنادا إلى حقيقة مهمة وهي أن الفرد عليه أن يستوعب أدوار الآخرين .

المحاضرة رقم 4 :

مفاهيم أساسية (2)

الضّبط الاجتماعي :

هو تلك الأطر والمعايير و العمليات المقصودة و غير المقصودة و التي يتخذها مجتمع ما أو جزء من هذا المجتمع من أجل رقابة سلوك الأفراد فيه و التأكد من التصرفات التي يمارسونها وفق القيم و المعايير و النظم التي رسمت من ثقافة الجماعة .(طلعت همام ، 1989 ، ص99)

ففي المجتمعات التقليدية تتمثل تلك الأطر و المعايير في العادات الشعبية و الأعراف و التقاليد القديمة و المألوفة بل والاعتقادات الراسخة ، أما في المجتمعات الحديثة أو ذات النمط الحديث فيناط الضبط الاجتماعي إلى جملة القوانين و اللوائح و كذلك الرأي العام ، وهنا يمكن تسجيل ملاحظة في غاية الأهمية وهي التداخل الذي يمكن أن يقع بين المجتمعات التقليدية و المجتمعات الحديثة أو هي لحظة الانتقال من التقليدي إلى الحديث ، فتتداخل الأطر و المعايير مع القوانين واللوائح ، ويصبح الفعل الاجتماعي محكوم بمدى وعي الأفراد بضرورة الضبط الاجتماعي في حد ذاته و أعتقد أن المخرج هنا هو يتمثل في الوعاء الثقافي للجماعة وتوظيفه لمفهوم الرقابة الاجتماعية .

للتذكير ، فإن استخدام مصطلح الضبط الاجتماعي يرجع إلى أن سلوك الفرد و أفعاله محدود بالجماعة المرجعية ، سواء كانت مجتمعا محليا أم مجتمعا كبيرا الذي يعد عضوا فيه ، و قد تصور جورج هربت ميد أن الضبط الاجتماعي يستند أساسا إلى بناء الذات ، حيث يعتمد على درجة تقبل الفرد الاتجاهات مَن يشاركونه الأنشطة الاجتماعية في الجماعة .

أما الأدوات والوسائل التي تحقق امتثال الأفراد لقواعد المجتمع فهي ميكانزيم ذو طبيعة اجتماعية ثقافية ، وهذا ما ذهبت إليه الدراسات ذات الاتجاه السوسيوثقافي أي تلك التي ربطت مفهوم الضبط الاجتماعي بالثقافة ، ومنها ما حددته على أنه مجموع الأنماط الثقافية التي يعتمد عليها المجتمع ككل في ضبط التوتر والصراع .

و الضبط وسيلة اجتماعية تفرض عن طريقها قيود منظمة و متسقة نسبيا ، على السلوك الفردي بهدف التوصل إلى توافق الفعل الاجتماعي للتقاليد و أنماط السلوك ذات الأهمية في أداء الجماعة لوظيفتها على نحو مستقر ، هذا التصور يعتمد على تأييد الفرد لمستويات السلوك التي

حددتها المعايير و توقعات الدور ، ومنه فإن عملية التنشئة الاجتماعية و استدماج المعايير والقيم الاجتماعية توفر و تدعم المصدر الضروري و اللازم للضبط الاجتماعي و خاصة منه الإيجابي .

و الضبط الاجتماعي يمكن أن يكون رسميا و غير رسمي ، أما الضبط الاجتماعي الرسمي منه فينطوي على أنساق السلطة و القوانين و القواعد و اللوائح التنظيمية التي تحدد المكافآت كالشهادات و الجوائز و المكافآت المالية و المادية و الميداليات و كل الجزاءات الإيجابية ، أو العقوبات كالسجن و الإعدام و النفي و كل الجزاءات السلبية .

من أهم عناصر الضبط الاجتماعي :

العُرْف : هو قانون اجتماعي شفوي في غالب الأحيان ، وهو جملة القواعد و المعايير الغير مكتوبة أو الغير مدونة التي يحتكم إليها المجتمع المحلي ، وهو نمط السلوك الجمعي ينتقل من جيل إلى جيل عن طريق التعلم الاجتماعي ، والعرف يتكرر و يستمر فترة طويلة إلى درجة الثبوت و الاستقرار و الرسوخ و ينال درجة الاعتراف من الأجيال المتلاحقة وقد يعبر عنه بالعادات و التقاليد ، غير أنه قد يفرق بين العادة و التقليد على أساس أن العادة تطلق على السلوك الخاص ، بينما التقليد يتعلق بالسلوك الجماعي .

التدين : وهو مجموعة من الاعتقادات ، و القواعد و الطقوس بنية التعبد و التقرب ، مرتبطة دوما بالروح و الغيب و الممارسات الأخلاقية و الدينية ، وهي تتصل بالقيم العليا و تبحث في الحقيقة المطلقة .

الأخلاق الاجتماعية : وهي مجموعة من القواعد و المبادئ التي يعرفها و يتعلمها ويتقبلها أعضاء الجماعة ، ويتعرض كل من يخرج عليها إلى عقوبات اجتماعية على درجات مختلفة من الشدة .

القانون : هو عنصر هام في منظومة الضبط الاجتماعي ، وهو يمثل قمة التنظيم الاجتماعي للسلوك الإنساني ، حيث يحدد ما يجب على الفرد عمله و ما يجب عليه تركه ، بالإضافة إلى أن القانون يحدد العقوبة لمن يخالف ما جاء به .

الرأي العام : هو الشعور السائد و وجهة النظر و مواقف الجمهور حول مسألة محددة في الاجتماع و السياسة و الاقتصاد و التجارة وفي وقت محدد ، ويتخذ الرأي العام شكله من المجتمع الذي ينبع منه و يتأثر بما يحدث فيه من تفاعلات ، ودرجة ثبوته نسبية بالرغم من أنه

يستمد قوته من العادات و التقاليد ، لكن الترويج و الإغراء ودرجة الإقناع تبقى من أهم أدوات صناعته .

المحاضرة رقم 5 :

مفهوم التّغير الاجتماعي

التّغير الاجتماعي :

هو كلّ تحوّل يقع في التنظيم الاجتماعي ، سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة معينة من الزمن ، وهو ينصب على كل تغيير يقع في التركيب السكاني للمجتمع ، أو في بنائه الطبقي ، أو نظمه الاجتماعية ، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم و المعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد و التي تحدد مكانتهم و أدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها .(طلعت همام ، 1989 ، ص 118)

يشير مفهوم التغير الاجتماعي إلى أوضاع جديدة تطرأ على البناء الاجتماعي ، والنظم ، والعادات ، وأدوات المجتمع نتيجة لتشريع أو قاعدة جديدة لضبط السلوك ، أو كنتاج لتغير إما في بناء فرعي معين أو جانب من جوانب الوجود الاجتماعي أو البيئة الطبيعية أو الاجتماعية ، كما يفهم التغير الاجتماعي بوصفه تغيرا في البناء الاجتماعي مثل حجم المجتمع و تركيب القوة و التوازن بين الأجزاء أو نمط التنظيم ، و ينظر كذلك للتغير الاجتماعي على أنه ينطوي على التعديلات التي تحدث في المعاني و القيم التي تنتشر في المجتمع أو بين بعض جماعاته الفرعية

البحث عن وعاء نظري لمفهوم التغير الاجتماعي :

في القرن 19 م اتسمت معظم النظريات المتعلقة بالتغير الاجتماعي بالطابع الثوري ، وتعتبر نظرية كارل ماركس في هذا الصدد أكثرها انتشارا ، وخاصة حين أكدت على أن نظام الإنتاج المتكون من آلية الإنتاج أو تكنولوجية الإنتاج و العلاقات الاجتماعية والتي تربط بها ، وكل وسائل الإنتاج ..هي العنصر الأساسي في المجتمع أو هي تشكل البنية التحتية التي تستند عليها كل النظم الأخرى كالأسرة والتعليم و الدين و السياسة و التي تشكل بدورها البنية الفوقية ، فكلما تطورت وسائل التكنولوجيا سنحت الفرصة لاستخدام نظم جديدة للإنتاج مما يؤدي إلى إقدام طبقات جديدة على استلاب جزءا من السلطة أو من قوة سياسية و اقتصادية من الكتلة التاريخية الحاكمة القائمة ، و بالتالي يرى كارل ماركس أن التغير الاجتماعي مرتبط أشد الارتباط بتاريخ النضال الطبقي و الصراع .

أما هربت سبنسر فقد تصور تغير المجتمع و تطوره على أنه انتقال من مجتمع يمتاز ببساطة بنائه و وظائفه إلى مجتمع يتسم بالتباين و التنوع و التعقد ، وقد صاغ نظريته عن التطور فوق العضوي قبل ظهور كتاب داروين " أصل الأنواع " في سنة 1859 ، ومن جهته صاغ عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي " لويس مورجان " نظريته التطورية لنمو الثقافة خلال مراحل الانتقال من الوحشية إلى الحضارة و المدنية .

أما ماكس فيبر فقد اتخذ من النظرية الماركسية نقطة انطلاق في دراسته للتغير الاجتماعي ، فهو يرى بأن تطور طبقة البرجوازية الغربية قد سبقه بالضرورة ظهور المذهب الكالفيني البروتستانتي و الذي يقر بأن قدر الإنسان مقدر له منذ ولادته ، بل هي فرصة لتراكم رأسمال الكنيسة لصالح الطبقة الحاكمة على حساب الطبقة البروليتاريا الضعيفة ، إلا أنه كان يرى أن المعطى المادي ضروري لكنه غير كاف ، وقد بين في كتابه الأخلاق " البروتستانتية وروح الرأسمالية " العلاقة الوثيقة بين الأخلاق البروتستانتية و التنظيم الرأسمالي للمشروع الاقتصادي الاجتماعي .

ومع مطلع القرن العشرين أخذت محاولات التنظير لمفهوم التغير الاجتماعي تتسع و تتسع ، حيث تركزت الجهود حول الدراسة الأكثر تفصيلا لمجتمعات محلية و لنظم معينة باستخدام طرق علمية و إحصائية دقيقة للملاحظة و القياس و المسح ، و الآن لا يوجد نظرية واحدة في التغير الاجتماعي بل نظريات عديدة ، و ينظر علماء الاجتماع اليوم إلى التغير الاجتماعي على

أنه شرط عادي و طبيعي للمجتمع ، وفي هذا الصدد يؤكد " ويلبرت مور" على بعض خصائص التغير في المجتمعات المعاصرة :

أ / يحدث التغير باستمرار و بوضوح في أي مجتمع و في أي ثقافة

ب / لا يمكن اعتبار التغير أزمة وقتية بل هو سلسلة متعاقبة و متصلة الحلقات

ج / لا يمكن عزل التغيرات من حيث الزمان و المكان

د / نتائج التغيرات تنتشر لتشمل الإقليم أو العالم كله

و / للتكنولوجيا الأثر البارز على الاستراتيجيات الاجتماعية

المحاضرة رقم 6 :

نظريات التغير الاجتماعي

1 / النظرية التطورية :

و ترتكز هذه النظرية على آراء " داروين " حول التطورية البيولوجية ، بحيث تميزت تلك النظرية بارتكازها على جانب أو عدة جوانب من النظرية الداروينية ، فمثلا نجد :

أ ـ منها ما يؤكد على أن المجتمعات تتغير وتتطور وفقا لمبدأ الانتخاب الطبيعي و ما يستتبعه مبدأ " البقاء للأصلح "

ب ـ و منها ما يؤكد على أن التغير إنما يتم وفق عملية تقدم مستمرة من الأسوأ إلى الأحسن

ج ـ ومنها ما يؤكد على أن التغير يأخذ دوما اتجاها ناميا.

2 / النظرية الدائرية (الدورية) :

تؤكد هذه النظرية على أن التغير على المدى البعيد يسير في نفس خط النمو المطرد إلا أنه في بعض الفترات يعتريه عدم الاستقرار ، على الرغم من أنه في البداية يتجه من الضعف إلى القوة ، لكنه بعد ذلك يقود المجتمع نحو الشيخوخة والضعف و الزوال ، ليظهر مجتمع آخر وهكذا.. و أبرز رواد هذه النظرية ، ابن خلدون و سروكين و شبنجلر وتوينبي

3 / النظرية الاقتصادية :

ترى هذ النظرية أن التغير الاجتماعي تتأثر بالجانب الاقتصادي في البناء السفلي للمجتمع و هي المحرك الأول للتغيرات الاجتماعية ومن رواده كارل ماركس

4 / نظرية اللاتكامل :

وهي نظرية تفسر التغير الاجتماعي على ضوء التنافر بين مختلف الأجزاء المكونة للنسق الاجتماعي ، بحيث تكون النتيجة المنطقية أو الحتمية لذلك التنافر هي حدوث التغير الذي يهدف إلى التكامل باعتباره نقيضا للاتكامل

5 / النظرية الوظيفية :

تنهض النظرية الوظيفية للتغير على أساس:

أ / كل ظاهرة اجتماعية تساهم بطريقة ما في بقاء المجتمع و استمراره

ب / يبحث في دراسة أسباب وكيفية حدوث التغير الاجتماعي

ويرى العلماء أن الوظيفية ليست نظرية لتفسير التغير بقدر ما هي نظرية للتغير الاجتماعي نفسه.

6 / النظرية النفسية الفكرية :

تقول هذه النظرية أن المجتمع يتغير نتيجة للطاقة العقلية الكبيرة للإنسان و تقدمه العقلي ونمو قدراته وتطلعه و حاجاته إلى مزيد من التقدم في أساليب الحياة

7 / نظرية التفاعل الثقافي :

ترى هذه النظرية أنه عندما يتفاعل أعضاء ثقافتين يكون هناك بالضرورة اتجاه نحو التغيير الثقافي

8 / نظرية التطور التكنولوجي :

تستخدم هذه النظرية في تفسير النمو المتشابه بين المجتمعات الصناعية ، كما تستخدم من أجل تحليل عمليات التغير الاجتماعي و التنبؤ بها في المجتمعات السائرة في طريق النمو ، وهي قائمة على فكرتين:

أ ـ أي تطور تكنولوجي تتبعه تغيرات اجتماعية

ب ـ التغير الاجتماعي يكيف و يتكيف مع التطور التكنولوجي

ولعل "وليام أوجبرن" الذي يمثل أكثر المتشيعين للنظرية التكنولوجية في التغير الاجتماعي ، هو المسؤول عن انتشار الاصطلاح الجديد ، عندما نشر كتابه عن " التغير الاجتماعي" لأول مرة سنة 1922 ، وأكثر اهتمام " أوجبرن " ينصب على دراسة العلاقة بين الاختراعات

والتغير الاجتماعي ، وهو لا ينكر أثر العوامل البيئوية و الطبيعية و البيولوجية في تغير المجتمع و لكنه يشعر أن هذه العوامل ليس لها التأثير الذي للعوامل الثقافية أو الاختراعات في إحداث التغيرات الاجتماعية .(عاطف غيث ، 1989 ، ص 315)

ويعني " أوجبرن " بالاختراع اكتشاف عنصر أو سمة ثقافية جديدة سواء كانت مادية و لامادية و يظهر الاختراع من تركيب جديد للعناصر الثقافية الموجودة فعلا ، و يحدث التغير الاجتماعي عند إدخال أو تبني المجتمع لهذا العنصر الجديد وخاصة منه ذو الطابع المادي .

ويعتقد أن الحاجة ، و القاعدة الثقافية و القدرة العقلية و التراث ، عناصر أربعة ضرورية لابد من وجودها ليمكن للاختراع أن يظهر ، ولهذا فإن أصل الاختراعات ونموها وتأثيراتها مسائل متصلة أشد الاتصال بالتغير الاجتماعي ، فالأنماط المختلفة للاختراعات تؤدي إلى تأثيرات اجتماعية متمايزة ، والاختراعات الكبرى إذا قبلها المجتمع تؤدي إلى تأثيرات كبرى ، كما أن الاختراعات الصغرى تؤدي إلى نتائج قليلة الأهمية .(عاطف غيث ، 1989 ، ص 315)

وفي العصر التكنولوجي يفسر أثر الاختراعات ذات البعد الآلي و الاستعداد المباشر لقبولها التغيرات الأساسية في حياة الجماعة الإنسانية أكثر مما تفسره الاختراعات الاجتماعية والإيديولوجية .

المحاضرة رقم 7 :

مفاهيم حول التغير الاجتماعي

التطور الاجتماعي :

هو عملية من عمليات التغير الاجتماعي ، وهو مفهوم يتضمن في الأصل تصورا مفاده أن كل المجتمعات تمر بمراحل محددة وذلك في انتقالها من الشكل البسيط إلى الشكل الأكثر تعقيدا ، كما تضمن في أغلب الأحيان المماثلة بين نمو الكائن الحي و تطور المجتمع الإنساني ، وقد اشتمل على تصور خاص يتعلق بالتخصص المتزايد للوظائف و الأدوار وهو الذي يصاحب التطور المتزايد للبناء ، على هذا الأساس ، فإن عملية التطور تشمل صورة للتغير التدريجي الذي يحدث في المجتمعات عندما تتغير وظائف نظم اجتماعية معينة أو عندما يعاد ويعدل نظام الأدوار فيها .

التقدم الاجتماعي :

حتى لا يختلط المعنى بين التقدم و التغير ، فالتقدم يأخذ مدخلا معياريا قيميا للحكم على الأحداث الاجتماعية ، لذلك اهتم مفهوم التقدم الاجتماعي بالبحث عن " مجتمع أفضل " بينما اهتم التغير الاجتماعي " بالمجتمع الواقع " ، بمعنى آخر تضمن التقدم في محتواه الأساسي " ما ينبغي أن يكون " في حين يشير مفهوم التغير الاجتماعي إلى " ما هو كائن " .(عاطف غيث ، 1989 ، ص313)

استخدم الباحثون و خاصة منهم السوسيولوجيون الأوائل مصطلح التقدم الاجتماعي للإشارة إلى أي حركة موجهة عن قصد أي مرغوبا فيها ، و فكرة التقدم الاجتماعي و خاصة في ميدان السياسة تتضمن قيما محددة ذات نوعية و جودة ، و بالتالي فإذا أردنا أن نعرف درجة تقدم المجتمع لا يكفي أن نحدد الفترة التاريخية التي مر بها أو الآليات التي اتخذها من أجل قياسها ، بل يتعين أن نبحث في طبيعة القيم و مستوى المعايير التي أخذ بها المجتمع ، وقد نظر بعض مفكري القرن التاسع عشر إلى التقدم الاجتماعي على أنه مفهوم يشير إلى حركة المجتمع نحو قيم المنطق و العدل و تأكيد المساواة .(عاطف غيث ، القاموس ، 1989 ، ص353)

هناك مجموعة من المعطيات التاريخية و الاجتماعية و السياسية ساعدت على تدعيم فكرة التقدم الإنساني و هي تتضمن فكرة قدرة العقل البشري و إمكانية سيطرته على الطبيعة ، ومنها عصر النهضة و الثورات الاجتماعية و السياسية و كذلك التطورات العلمية و التكنولوجية .

ملاحظة :

ارتبطت فكرة التقدم في علم الاجتماع بفلسفة التاريخ و بمحاولة المفكرين إخضاع كافة العلاقات الاجتماعية لقانون واحد ثابت لا يطرأ عليه تعديل ، ولذلك خضعت هذه الفكرة للنقد على أساس

أن القوانين التاريخية لا تقدم لنا أي دعوة تتعلق بالمستقبل ، وهجر علم الاجتماع مصطلح التقدم واستبدله بفكرة أخرى محايدة و علمية و هي فكرة التغير الاجتماعي .

التنمية الاجتماعية :

تطور مفهوم التنمية من خلال العديد من الدراسات و الأعمال والمؤتمرات ويمكن أن نلمح اتجاهات أساسية في فهم المصطلح ، وخاصة إذا تعلق الأمر بمفهوم التنمية الاجتماعية :

ـ الاتجاه الأول : وهو يعتبر التنمية كطريقة من طرق الخدمة الاجتماعية وهذا الاتجاه شائع في المجتمع الصناعي الرأسمالي .

ـ الاتجاه الثاني : وهو يحصر مفهوم التنمية الاجتماعية في الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدول في مجالات معينة مثل التعليم و الصحة و الإسكان و غيرها ، ولكن يعاب على هذا الاتجاه أنه لا يتماشى و ظروف " العالم الثالث " الذي خرج حديثا عن طوق الاستعمار .

ـ الاتجاه الثالث : و هو يعتبر التنمية الاجتماعية عمليات تغيير اجتماعي ، تلحق بالبناء الاجتماعي و وظائفه ، بغرض إشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد ، ويلاحظ أن هناك ميلاً للأخذ بهذا الاتجاه في التعريف بالتنمية الاجتماعية في الكتابات السوسيولوجية الحديثة والمناقشات العلمية . (السمالوطي نبيل ، ط4 ، ص92)

استنادا لهذا الاتجاه الثالث ، يمكن الإشارة إلى تحديد الباحث "زايد مصطفى " لمفهوم التنمية في دراسة حول التعليم و التنمية في المجتمعات السائرة في طريق النمو : التنمية عملية تغيير شامل و مخطط تتناول كل أو بعض جوانب الحياة المادية و البشرية ، بغرض تحقيق الأهداف الشعبية المتبلورة بشكل ديموقراطي و المستمدة في نفس الوقت من تاريخ الأمة في ظل إيديولوجية تترجم آمالها في الحاضر و المستقبل .(حميدة حسين ، 2001 ، ص 111)

على أساس التحديد السابق يمكن استخلاص عناصر للتنمية الاجتماعية : العملية الشاملة ـ التخطيط ـ الشعبية ـ السياسات ذات الأهداف ـ الديموقراطية ـ الإيديولوجية .

و إذا تمّ الرجوع إلى تعريف هيئة الأمم المتحدة (1956) و هو تعريف التزمت به دوائرها ووكالاتها المتخصصة في العمل الاجتماعي ، نجده ينص على أن التنمية هي العمليات التي توحّد بين جهود الأهالي ، وجهود السلطات الحكومية لتحسين الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية للمجتمعات المحلية .

يعتبر مفهوم التغير من المفاهيم الأساسية التي ارتبطت بمصطلح التنمية غير أن التغير يحمل في طياته معاني السلبية و معاني الإيجابية في الوقت نفسه ، وهو يشير إلى اختلاف ملحوظ في حالة سابقة للبناء الاجتماعي و المؤسسات و العادات وتجهيز المجتمعات إلى الحالة التي أصبح عليها ، ويضرب " ح جينسبارغ " مثلا للتغير في البناء الاجتماعي بتغير حجم المجتمع أو تركيب المجتمع ، أو التوازن بين أجزائه أو نوع التنظيم الاجتماعي .(محمد حسن عبد الباسط ، 1977 ، ص 89)

أما فيما يخص العلاقة بن مصطلح التنمية و مصطلح التغير فهي تتجسد في أن التنمية تحدث التغيير و ذلك من خلال التقدم التكنولوجي مثلا ، والذي يعتبر نتاج للتنمية في الوقت نفسه كما هو عملية تغيرات و تأثيرات على الطبيعة و المجتمع .

التغيير الاجتماعي :

يشير هذا المفهوم إلى الفعل الاجتماعي الموجه نحو إحداث التحول و الانتقال وكما يشير إلى إرادة التغيير وفق أهداف مشتركة بين الفاعلين الاجتماعيين كالنخب على اختلاف تخصصاتهم ومستوياتهم وكالحركات الاجتماعية و المجتمع المدني (مفهوم إجرائي)

التحديث :

هو تلك العملية التي تتحول بها النظم و الأنساق الاجتماعية و تتطور بها الحياة أو نوعيتها إلى مستويات أفضل ، وبخاصة بالنسبة للتعليم و الأحوال الصحية و الإسكان و غيرها ، ويتم ذلك بالاستفادة من التقدم العلمي و التكنولوجي عادة .

لكن بالنسبة لبعض النخب و الفاعلين الاجتماعيين ، فإن التحديث يعني تغييرا شاملا على المستويين الاجتماعي و الثقافي ، و التخلي عن القيم التقليدية ، وضرورة تبني قيم عصرية

جديدة ، جملة و تفصيلا ، وقد يمثل هذا الاتجاه أولئك الذين تلقوا تعليما غربيا صرفا أو أنهم اقتنعوا كل الاقتناع بالثقافة الغربية و لا يكاد يوجد لديهم فهم شامل و عميق لتراثهم أو تقدير لثقافة مجتمعهم ، الأمر الذي جعل الباحث الجزائري " محمد السويدي " يتساءل :

ـ هل يعني ذلك أن المجتمع العربي عامة ـ والجزائري خاصة ـ عليه أن يتجه نحو ما تأتي به الثقافة الأوربية ـ و الغربية بصفة عامة ـ و نبذ كل القيم و التقاليد التي ورثها من تراثه الثقافي ومن حضارته ؟

ـ ألا تتضمن القيم الثقافية و التقاليد الموروثة جوانب نافعة و إيجابية يتعين على المجتمع الحفاظ عليها ، فهي سمات أساسية تحدد هوية المجتمع و تميز ملامح شخصيته و ثقافته ؟

ـ و هل تتطلب عملية التحديث إعادة تفسير بعض التقاليد و العمل على توجيهها وجهة جديدة تتفق و متطلبات التحديث ؟ (السويدي محمد ، 1991 ، ص 147)

هناك تصور مؤداه أن كثيرا من الأفكار الموروثة و العادات الاجتماعية و التقاليد و المعتقدات لم تعد تشبع حاجيات المجتمع أو لم تعد ترضي النخبة المتعلمة خاصة ، لأنها بمثابة عقبات أمام بناء مجتمع حديث ، أمثلة :

أ / التداوي و العلاج بين الطب التقليدي و الطب الحديث

ب / التعليم و التربية بين المناهج والوسائل التقليدية و المناهج الحديثة

ج / بين الفلاحة التقليدية و الطرق الحديثة للزراعة

د / بين توريث الحرف اليدوية و تكنولوجيا التصنيع

هـ / بين البناء التقليدي و الأساليب الهندسية الجديدة

في حين هناك نخبة تتمسك بالتقاليد وهي تتضمن فاعلين روحيين و مثقفين ، يرون أن الثقافة التقليدية لمجتمعاتهم لا تخلو من الحلول للمشكلات المختلفة و الأزمات المتعددة و لا تخلو من الجانب الإيجابي و الحي ، فهي تربط الماضي بالحاضر ، و للثقافة التقليدية القدرة على التكيف مع متطلبات العصر، و القدرة على إيجاد آليات التكيف ، والتراث الثقافي للمجتمع هو بمثابة صمام الأمان و هو الذي يحدد " مسألة الهوية " و يدعم " مسألة الولاء " و يقوي الشعور بالانتماء ، و أصحاب هذا الاتجاه يحرصون على استنطاق التراث الثقافي ومن جهة يحبذون التجديد و التحديث و يطالبون بالنقد الذاتي و البحث عن الحلول وتكييف ما هو تقليدي برؤية

جديدة ، ما يضمن خصوصية المجتمع و استقلال شخصيته ، وفق القراءة الصحيحة للتراث والفهم الجيد و الدراسة العلمية و البحث الموضوعي للمعطيات التاريخية البعيد عن كل تعصب و تطرف .

المحاضرة رقم 8 :

التّغير الثقافي و التّغير الاجتماعي

كان لا بدّ من التطرق إلى موضوع التغير الثقافي في خضم موضوع التغير الاجتماعي ، إذ لا بد للطالب(ة) أن يعرف أن الثقافة و المجتمع " وجهان لعملة واحدة " و هذه من الخصائص الجوهرية و الأساسية في تمييز المجتمعات البشرية مهما كانت درجة تعقدها ، و العلاقة بينهما علاقة احتواء و ضمنية متداخلة ، فإذا كانت الجماعة بحاجة إلى إمكانيات اجتماعية ، فهي تشبعها وتمارسها عن طريق الثقافة الخاصة بها .

1) التطور التاريخي لمفهوم الثقافة :

تعتبر الثقافة من المفاهيم التي استخدمها كُلّ من الأنثروبولوجي و المؤرخ و الأديب و الفيلسوف و السياسي كما وظّفها عالم الاجتماع توظيفا خاصاً ، ففي البداية لم يذكر ابن خلدون كلمة ثقافة في المقدمة إلا نادرا ، ثمّ أنه ذكرها بوصفها مفردة لغوية ، أي في صورتها الأدبية ، دون الوقوف عندها بوصفها مفهوماً (بن نبي مالك ، 1984 ، ص 20) لكنه ذكر مفهوما مقابلا لها وهو الحضارة ، حيث يقول في هذا الصدد : و الحضارة إنما هي تفنن في الترف و إحكام الصنائع المستعملة في وجوهه و مذاهبه من المطابخ و الملابس و المباني و الفرش و الأبنية ، وسائر عوائد المنزل و أحواله .(ابن خلدون ، ص190)

أما في القرون الوسطى بأوروبا ، فكانت كلمة Culture ، تعني الطقوس الدينية ، لتنتقل في القرن 17 م إلى استخدامات تفيد معنى فلاحة الأرض ، وفي القرن 18 م عبّرت عن التكوين الفكري عموما و عن التقدم الفكري للشخص خاصة ، و عما يتطلب ذلك من عمل وما ينتج عنه من تطبيقات .(لبيب طاهر ، 1987 ، ص 6)

شهد القرن 19 م حقلا من حقول الدراسة أكثر اتساعا ، ووسائل للبحث و التحقيق ، أخصب وأكثر تنوعاً ، وإذا بفكرة " ثقافة " تزداد جلاء في هذا المجال ، وتصبح مفهوما أكثر تحديداً ، وتصبح إحدى مشكلات علم الاجتماع ، من هنا نشأت محاولات تهدف إلى وضع تعريف جديد للثقافة ، إذ لم يعد التعريف التاريخي الذي أحدثه عصر النهضة الأوربية ، بكاف في إقناع المنطق الجديد ، وهكذا وصل الفكر الإنساني إلى تساؤل : ماهي الثقافة ؟ (حميدة حسين ، 2001 ، ص 14)

2) مفهوم الثقافة :

تعددت تعاريف الثقافة بتعدد الزوايا التي ينظر منها إلى المفهوم ، وفي هذا الصدد قام كل من "كروبر" و"كلوهن" بإحصاء وفحص ما يزيد عن 160 تعريفاً لعلماء الأنثروبولوجيا حول الثقافة ، ثمّ قاما بتصنيفها إلى تعاريف وصفية / تاريخية / معيارية / نفسية / بنائية .. .

ويعرف "رادفيلد" الثقافة على أنها المجموعة المنظمة من المفاهيم التي تظهر في الفن و الحرف و التي عن طريق دوامها خلال التقاليد تميّز الجماعة الإنسانية . (أبوعشة ابراهيم ، 1983 ، ص 71)

أما "غي روشي" فقد اعتبر الثقافة مجموعة مترابطة من أساليب التفكير و الإحساس و العمل ، المتشكلة إلى حد ما ، تتعلّمها و تشترك فيها جماعة من الأشخاص ، يُكوّنون مجموعة خاصة متميزة ، للإشارة فإن هذا التعريف يذكرنا بتحديد "دوركهايم " للظاهرة الاجتماعية ، على أنها أساليب التفكير و الإحساس و العمل .(همام طلعت ، 1989 ، ص 50)

يرى "هرسكوفيتس" أن الثقافة مفهوم يشير إلى نمط حياة خاصة بشعب معين ، وأما المجتمع فهو مجموع أفراد يعيشون في ظل هذا النمط ، من جهته يحدد "كوفيليه" الثقافة على أنها نظام أفكار و معارف و تقنيات ، أنماط سلوك وأيضا اتجاهات تحدد مجتمعا معطى .

ها هو "بتريم سوروكين " يقسم الثقافة إلى ثلاثة أنواع ، فيتكلم عن الثقافة الفكرية وهي كل المنتجات الأدبية و الفنية و القانون و الخطط التي ترسم مفاهيم المجتمع لاتخاذ صور مستحدثة للمفاهيم الحضارية ، من جهة ثانية هناك ثقافة مادية حسية ، ويعني كل ما تنتجه الصور الفكرية وجسدته ضمن وقائع محسوسة أو مصنوعة ، كافتراض الصناعات و الحرف مثلا ، وتشتمل على كل المُخلّفات البشرية من منتوجات مدنية وعسكرية ، أما الثقافة الروحية أو المثالية ، فهي تضم المعتقدات الروحية .(أبوعشة براهيم ، 1983 ، 67)

هناك تعاريف أخرى و أخرى قدّمها : مالينوفسكي و ليزلي هوايت و رالف لنتون وميريل وإليوت و غيرهم كثير ، غير أن أشهر تعريف كلاسيكي للثقافة هو ذلك الذي ظهر به سنة 1871 إدوارد تايلور : الثقافة هي ذلك الكل المركب ، الذي يشمل المعرفة و العقائد و الفن والأخلاق و القانون و العرف و كل القدرات و العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع .(السويدي محمد ، 1991 ، ص50)

3) الثقافة والحضارة :

أثناء المسار التاريخي لتبلور الثقافة كفكرة و كمفهوم ، ظهر أمامه مفهوم آخر فهو يدعمه أو ينازعه ، وهو مفهوم الحضارة ، فيقول ابن خلدون في هذا الصدد " و الحضارة إنما هي تفنن في الترف و إحكام الصنائع المستعملة في وجوهه و مذاهبه من المطابخ والملابس و المباني والفرش و الأبنية ، وسائر عوائد المنزل و أحواله (ابن خلدون ، ص190) . وفي الاستعمال الفرنسي لكلمة حضارة ، فقد ظهر تقريباً في الفترة نفسها التي ظهرت فيها كلمة ثقافة بمعناها الفكري ، وقد شملت كلمة حضارة مختلف أبعاد التقدم ، فكرية أو مادية ، أما التصور الألماني عموماً ، طغت عليه نزعة واضحة وهي التمييز بين الثقافة كروح و فكر وعلم ومعرفة و بين الحضارة بمعناها المادي ، و هو ما يوافق ما ألفته عبقرية الفكر الألماني من فصل بين الروح و الطبيعة .

بالنسبة لـ" توماس مان" فالثقافة تعني الروحية الحقيقية ، وتعني الحضارة درجة المكننة ، ويرى المؤرخ "مومسن " أنه من واجب الإنسان اليوم أن لا يترك الحضارة تحطم الثقافة و التقنية تحطم الكائن الإنساني (لبيب طاهر ، 1987 ، ص 7) .

أما " ألفريد فيبر" وهو صاحب تسمية علم الاجتماع الثقافي ، يرى أن الحضارة أو المدنية تشتمل على المعرفة الوضعية و العلم و التكنولوجيا التي تتكوّن من معلومات يمكن تمريرها من جيل لآخر ، وتتمتع بدرجة عالية من الدقة و الضبط ، أما الثقافة فتتعلق بأرواح الناس ، وما تتضمنه من قيم و معايير و عادات و أفكار وانطباعات ، لا يمكن القول عنها بأنها صحيحة أو غير صحيحة وذلك لمرونتها ونسبيتها و اختلافها من مجتمع لآخر ومن فترة زمنية لأخرى (السويدي محمد ، 1991 ، 22)

كما اعتبرت الحضارة وعاء لمجموعة من الثقافات المتشابهة فالحضارة لا تخص مجتمعاً معيناً بل مجموعة من المجتمعات و بالتالي مجموعة من الثقافات (Megherbi ، 1986 ، 16) ولذلك يقسم "سابير" العالم إلى دوائر ثقافية خلافا للحدود السياسية .

4) خصائص الثقافة :

أ ـ الثقافة ظاهرة إنسانية : هذه الميزة تجعل من الثقافة عبارة عن مجموعة من المعطيات الفكرية و الشعورية و المادية التي تجسدها شبكة من العلاقات داخل أي مجتمع ، بحيث إنه لا يمكن أن نتصور مجتمعاً بدونها و لا ثقافة بدون مجتمع (Megherbi ، 1986 ، ص14)

ب ـ الثقافة مستقلة عن الأفراد : فهي فوق عضويتهم رغم أنهم يحملونها و يمارسونها في حياتهم اليومية بإلزام ، إلى حدّ القهر ، لذلك فهي تحافظ على سلوكها الموضوعي وتحتفظ بكيانها و وجودها لعدة أجيال ، ممّا يؤكد أن مضمونها هو نتاج المجتمع الإنساني ، وحصيلة النشاط البشري ، وإنّ وجودها بذلك غير مرتبط بوجود الأفراد من حيث هم أفراد .

ج ـ الثقافة إرث اجتماعي : هذا الإرث يكتسبه جيل بعد جيل عن طريق التعلم ، الذي يعني انتقال المعلومات و التجارب بواسطة الاتصال بالآخرين ، فهو يسهل التفاهم ، ويعطي معنى للوحدة الثقافية ، ويعمل على إيجاد شبكة من العادات و الأعراف و التوقعات المتبادلة التي ترتبط معا في وحدات اجتماعية .

د ـ الثقافة تتراكم : هذا الذي يمكّن الفرد من أن ينمو على حصيلة الأجيال السابقة ، فهو ليس في حاجة إلى أن يبدأ من جديد ، إلاّ إذا أراد الابتكار و الإبداع فالفكرة تحتاج إلى نقاش .

هـ ـ الثقافة تنتشر : يعتبر الانتشار هو العملية التي ينتقل بها العنصر الثقافي المادي أو العنصر الثقافي اللامادي و يتحرك و يتعمم من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى جماعة .

و ـ العنصر الثقافي : وهو أصغر وِحدة ممكنة في الثقافة و في كل المجتمعات ، إما أن تكتسي صفة المادية تُلمس و تُشاهد ويُمارس بها الفعل الثقافي (عصا ـ قلم ـ آلة .....) وإما أن تكون لامادية بمعنى هي معنوية ، يُمارس بها الفعل الثقافي دون أن تلمس أو تشاهد بل يشعر به الفرد أو يرى انعكاساتها (فكرة ـ شِعر ـ مَثل .....) .

الغرض من هذا العرض كله هو تمكين الطالب ـ إلى حدّ ما ـ من التمييز بين التغير الثقافي والتغير الاجتماعي وهذا الذي نحتاجه بالنسبة لهذا المقياس ، لذلك حينما يشير الباحث إلى التغير الاجتماعي ، إنما يعني به التغيرات التي تطرأ على التنظيم الاجتماعي ، أي في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة ، أما التغير الثقافي فيشمل كل التغيرات التي تحدث في كل فرع من فروع الثقافة بما في ذلك الفن و العلم و التكنولوجيا و الفلسفة بالإضافة إلى التغيرات التي تحدث في صور و قواعد التنظيم الاجتماعي ، عندئذ يمكن القول بأن التغير الاجتماعي جزء من التغير الثقافي ، مادام أن ما هو ثقافي أشمل و أوسع على ما هو اجتماعي ، على الرغم من أن الثقافة و المجتمع شيئان متلازمان ، إلا أنهما ظاهرتان من نوع مختلف ، يتصل بعضهما عن طريق الأفراد الذين يُكوّنون المجتمع ، ويفصح سلوكهم على نوع ثقافتهم ، إلا أن كل فرد يعبّر عن جزء من الثقافة لأنه لا يستطيع أن يعبر عنها كلها ، و مع ذلك فمجموع الأفراد الذين

ينتظمهم المجتمع قادرون و هم مجتمعون على إدراك و ممارسة الثقافة كلها ، ومع ذلك فوجودهم في مجتمع واحد يمكنهم من التخصص (حميدة حسين ، 2001 ، ص 21)

ولهذا من الناحية السوسيولوجية يهتم الباحثون بالتغير الثقافي إلى المدى الذي يدركون فيه تأثيره في التنظيم الاجتماعي أي لا يهتمون به منفصلا عن التغير الاجتماعي ، وسيتوضح الأمر بطريقة أفضل في المحاضرة القادمة .

المحاضرة رقم 9 :

ملامح التّغير الاجتماعي (1)

1 / الأسرة

تعتبر الأسرة من أهم الجماعات الإنسانية ، و أعظمها تأثيرا في حياة الأفراد و الجماعات ، فهي الوحدة البنائية الأساسية التي تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية وهي التي تقوم بالدور الرئيسي في بناء صرح المجتمع ، وتدعيم وحدته وتنظيم سلوك أفراده بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية المحددة ، ووفقا للنمط الحضاري العام (الرشدان عبد الله ، 1999 ، ص 115)

إن أهمية الأسرة كتنظيم اجتماعي ، تُقرّها جميع المجتمعات و تقرها جميع الثقافات ، بدءا بالحضارات القديمة كالحضارة الصينية القديمة أو الحضارة المصرية الفرعونية أو الحضارة الفارسية ، مرورا بالحضارة العربية و الإسلامية ، وصولا إلى المجتمعات المعاصرة ، صحيح أن الإنسانية قاطبة تختلف في التعبير عن أهمية الأسرة و تتباين في تحديد مفهومها ووجودها وشكلها وبالتالي تحديد وظائفها ، إلا أنها تجتمع على أهميتها القصوى .

وحتى في أوربا المعاصرة ، ينظر معظم الناس إلى المعيشة الأسرية على اعتبارها الجانب الأكثر أهمية في حياتهم " ففي أول تقرير لمركز البحوث حول التغيير في المجتمع الصغير ، يلاحظ أن الأحداث الأسرية تعتبر حتى الآن من أهم الجوانب في حياة الناس ، وكشف تقرير اللجنة الأوربية عن أن 96% من السكان يعرفون المعيشة الأسرية بوصفها الجانب الوحيد الأكثر أهمية في الحياة عبر الاتحاد الأوروبي ".(برنارد جون ، 2002 ، ص9)

لقد دأبت الكتابات الاجتماعية الأولى عن الأسرة على توضيح حجمها و نفوذها وسلطانها في المجتمعات البدوية و الريفية و التقليدية ، لكن مع تطور التجمع الإنساني و تغيره صغر حجمها فوصفتها الكتابات بالخلية الاجتماعية الصغيرة في حجمها ووظيفتها ، وقد عنت بعلم الاجتماع الأسرة من حيث اعتبارها مؤسسة و خلية في ذات الوقت و اهتمت بعلاقاتها بنظام القرابة والزواج و أنواعه القديمة و الحديثة و الطلاق و التنشئة الأسرية ، وكيف تتولد الذات الفردية وتتفاعل مع الأنا الاجتماعية .(خليل معن ، 1994 ، ص 5)

عندما نستعرض حياة الأسرة عبر تاريخ المجتمعات الإنسانية ، نجد تغيراتها الوظيفية و البنائية مسايرة لتغيرات المجتمع الذي تعيش فيه ففي المراحل الأولى كانت الأسرة تقوم بإشباع معظم

حاجات أفرادها الصحية و الاجتماعية و الثقافية و التربوية و الدينية و الدفاعية ، لكن مع استمرار تغير المجتمع و تطوره ، لم يبق لها سوى وظيفة تزويد المجتمع بالأعضاء الجدد أي إنجاب الأطفال و تأنيسهم في مرحلتهم الطفولية وتلقينهم وتدريبهم على الأدوار المنسوبة إليهم في مجتمعهم ، أما باقي الوظائف فقد أخذتها مؤسسات النظم الاجتماعية الأخرى ، فتحولت الأسرة من كونها مؤسسة اجتماعية تقوم بمعظم مهام و شؤون ووظائف المجتمع إلى خلية اجتماعية صغيرة ، تختلف في تركيبها ووظائفها عن الأسرة من حيث كونها مؤسسة اجتماعية .

هذا التحول الوظيفي لم يحصل بسبب ضعف في أداء الأسرة لهذه الوظائف وتلك المهام ، بل إن حقيقة تطور المجتمع من مرحلة إلى أخرى تزيد في إبعاده عن المرحلة السابقة أو التقليدية ، فتزول وظائف كانت جوهرية في حياتها لصالح مؤسسات أخرى لها علاقة بالوظائف الأسرية ، وبذلك تغير شكل الأسرة .(حميدة حسين ، 2011 ، 98)

وفي الحقيقة فإن التغير في وظائف الأسرة لم يكن مرغوبا من قِبَل أعضاء ، لأنه أخذ منها العديد من المهام الأسرية الجوهرية و هذا ما جعل موقعها في النسق الاجتماعي العام يهزل ويضعف ، فالأب لم يبق محافظا على موقعه كما كان في السابق ، والأم باتت تعمل داخل وخارج الدار ففقدت مكانتها الحيوية التي كانت تتمتع بها من قبل .

إن أبرز الوظائف التي كانت تقوم بها الأسرة وفقدتها أو تكاد بسبب التغير ، هي الوظيفة التربوية التي أخذتها المدرسة لتعلمهم القراءة و الكتابة و العلوم و الثقافة و التخصص بمهن وفنون خاصة لا تستطيع الأسرة القيام بها بعد التطورات الهائلة التي أصابت الأسرة و المجتمع و يكون إنجازها قائم على المنافسة الحرة و الإبداع .

أما الوظيفة الاقتصادية فقد أخذتها الشركات و المعامل و المصانع و الورشات الخاصة بإنتاج كل ما يحتاجه أفراد الأسرة من مأكل و مشرب ، بعدما كانت تنتجها الأسرة بنفسها ، فأصبح دخل الأسرة المحدود يصرف على المأكولات و المشروبات و الملبوسات و المأوى أكثر ، في ظل تزايد التطور التقني الذي كرس بدوره قيمة اجتماعية جديدة في المجتمع أو اتجاه اجتماعي جديد وهو " النزعة الاستهلاكية " بعدما كانت الأسرة تتمتع " بالنزعة المنتجة "، وقد انصب مصروف الأسرة ذات الدخل العالي على الوسائل الترفيهية و الاستهلاكية ذات الترف الشكلي في حين تحول مصروف الأسرة التقليدية نحو شراء الأدوات و الأثاث المنزلية أكثر ، وهذا التحول غالبا ما يوضح حالة انشغال الزوجة خارج البيت من أجل زيادة دخل أسرتها بحيث يكون قادرا على مواجهة متطلبات الأسرة المتزايدة .

أما الوظيفة الترويحية فقد كانت النشاطات المتعلقة بالتسلية و الترفيه تمارس في نطاق الأسرة وبين أعضاءها و أقاربها و أبناء الجيران ، وكانت تحت إشراف ورعاية الأبوين بشكل مباشر ، والملاحظ أن الألعاب و فنون التسلية كانت تستند إلى أدوات بدائية و ألعاب تقليدية و كان الطفل يشارك في صناعة اللعبة انطلاقا من وسائل بالية أو خردوات مهملة ، لكن مع ظهور المؤسسات المتخصصة ذهبت معظم هذه النشاطات إلى هذه المؤسسات من أجل إشباع الحاجة إلى اللعب و التسلية ، بالإضافة إلى التطور التكنولوجي و تأثيره على هذا الميدان ، فظهرت ألوان و فنون في عالم الإلكترونيات في شكل ألعاب وتسلية ، بالإضافة إلى التلفاز و الراديو والفيديو ، وفي هذا الإطار للترويح و الترفيه يمكن الحديث أيضا عن قيام شركات للأسفار والسياحة و الطيران المنظمة للرحلات السياحية و الترويحية بالإضافة إلى نشاطات المؤسسات الفنية المتخصصة في المسرح و السينما و النوادي الرياضية .

بالنسبة للوظيفة الدينية ، فقد كانت الأسرة تقوم بتوجيه و إرشاد أبنائها دينيا ، بالتعاون مع الجوامع و المساجد و المدارس القرآنية و الزوايا عندنا في الجزائر ، لكن اليوم لم يبق للأسرة دورا جوهريا في هذا الشأن .

وفي مجال الرعاية الصحية و الاجتماعية ، فقد كانت الأسرة تقوم برعاية الأطفال و الأرامل والعجزة و المعوقين و المسنين ، لكن الآن ومع ظهور المؤسسات و المراكز المتخصصة أصبحت هذه المهمة بعيدة عن الأسرة التي في الحقيقة كانت تضمن إلى حدما الرعاية العفوية و التلقائية بدافع مليء بالحب و الدفء و الواجب الأسري و المسؤولية و العاطفة .

2/ خروج المرأة للعمل :

بعد الثورة الصناعية و الثورة الفرنسية و التقدم التكنولوجي ، حدثت تغيرات في بنية و وظيفة المجتمع الغربي ، جعلت المرأة تخرج من البيت للعمل وتساهم في الإنتاج بشكل مكثف وتحصل على استقلالها الاقتصادي و تكسب وعيا متزايدا بواقعها الاجتماعي و السياسي ، فظهرت الكاتبة و المفكرة و المحامية و الطبيبة و المهندسة و الأستاذة .

في المقابل فإن هذا التغير النوعي الذي حققته المرأة أفرز مشكلات اجتماعية مثل ارتفاع نسبة الطلاق و تأخير الإنجاب وقلته ، وضعف دورها في إدارة شؤون المنزل ، وطبعا إزاء تفاقم هذه المشاكل ظهرت حركات نسوية تدافع عن مواقعها و مكانتها .

لقد أدت التغيرات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية إلى تفكك الأسرة التقليدية الممتدة و تحولها إلى أسر زواجية نواتية ، فبعد أن كانت الأسرة الممتدة تتكون من الأم والأب و الأبناء المتزوجين و العزب إضافة إلى الجد و الأعمام و أولادهم و الأخوال و أولادهم .. في بعض الحالات أصبحت الأسرة تقتصر فقط على الأب و الأم و الأطفال ، مما قلل من فرص الاحتكاك و التعامل الاجتماعي مع الكبار من الأقارب و الأصدقاء و بالتالي قلل من اكتساب القيم والمعايير الاجتماعية .

من جهة أخرى أدت التغيرات السريعة في وضعية المرأة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية في معظم بلدان العالم ، فقد أتيح لها كل الإمكانيات و الفرص التعليمية و المهنية فارتفعت نسبة النساء العاملات عامة ، ومهما كان الدافع الذي سبب خروج المرأة للعمل فإن ذلك ألقى على كاهلها مسؤوليات عديدة و جهدا مضاعفا و أصبح عليها من اللازم أن تبذل قصار جهدها للتوفيق بين البيت و الشغل ، كما زادت أعباء الأسرة و لم يصبح بإمكانها تلبية كل المتطلبات المنزلية و خاصة منها ما يتعلق بتربية الطفل و تعليمه .

من هذا المنطلق ، أصبح وجود الزوجين خارج الدار من أجل العمل يعني أن الأسرة باتت بأمس الحاجة إلى الأغذية الجاهزة و المعلبة و الملابس الجاهزة أيضا ، وإلى وسائل منزلية لتسهل مهامها داخل المنزل ، فانتشرت المطاعم و المخابز والأطعمة المجمدة و المحفوظة ومعدات التنظيف الخاصة بالملابس و الأدوات و الأثاث وهكذا ..

تغير دور الزوج :

من مظاهر التقسيم الجديد للعمل داخل الأسرة ، هو قيام الزوج ببعض الأعمال داخل البيت ، بعدما كانت من مهام وواجبات الزوجة مثل غسل الصحون و تنظيف الدار و طبخ بعض الأطعمة أو شراؤها جاهزة وإطعام الأطفال و تنظيفهم .. يحدث هذا خاصة في المجال الحضري (خليل معن ، 1994 ، ص 172)

تغير دور الزوجة :

هي الأخرى ، دفع بها الحال إلى القيام ببعض الأعمال و المسؤوليات التي كان الزوج مكلف بها وحده ، مثل التسوق و التبضع اليومي و دفع فواتير الماء و الكهرباء و الهاتف ، ونقل الأطفال إلى المدرسة و التواصل مع المعلمات و متابعتهم في النوادي الرياضية و العيادات الطبية و غيرها .

المحاضرة رقم 10 :

ملامح التغير الاجتماعي (2)

3 / التعليم :

هنا يشير المحاضر إلى أهم المراحل التي مر بها التعليم النظامي من المؤسسة التي أوجدها المجتمع نفسه و هي المدرسة ، عبر المراحل المختلفة من التاريخ ، ويحول الربط دائما بين مفهوم التربية والتعليم و بين التغير ، مشيرا إلى أهم عناصر العملية التربوية و التعليمية من الناحية التطبيقية :

أ / المعلم : دوره ـ مكانته الاجتماعية ـ صفاته

ب / المتعلم : مكانته ـ إعداده ـ تطور العلاقة بين البيت و المدرسة

ج / طرق التدريس : تطور الأدوات ـ تطور أساليب الإلقاء ـ الوسائل الحديثة

د / المناهج : تطور فلسفة التربية (المدرسة المثالية ـ المدرسة الإسلامية ـ المدرسة الوضعية ـ المدرسة البراغماتية)

هـ / الكتاب المدرسي : التطور و الأهداف ـ الشكل و الوظيفة

و / التقويم : تطور عملية التقويم و ربطها بالمدارس و النظريات التربوية

محاولة إسقاط كل تلك المعاني على التعلم و التعليم في الجزائر عبر مختلف المراحل التاريخية

4 / المعمار و تشكيل المدن :

ضرورة تبيان دور الأشكال الهندسية للمنازل السكنية و بقية المؤسسات في قراءة التغير الاجتماعي و الثقافي و تشكيل المدن وتطورها وفق الوظائف المتعددة في المجتمع ، وديناميكية المكان و الزمان و الطاقة و المادة ، وذلك باستخدام ما أمكن من الصور الفوتوغرافية المصورة من أعلاه .

المحاضرة رقم 11 :

عوامل التغير الاجتماعي

1- العوامل الفيزيقية :

و تشمل جميع الظواهر ذات الصّلة بالبيئة الطبيعية و التي ليست من صنع الإنسان أي ظواهر لا إنسانية ، بل مصادر الحياة و المناخ و الطبوغرافيا و التربة و باطن التربة وما فيه من معادن و النبات و الحياة الحيوانية وأي تغير في أي من ظواهر هذه البيئة الجغرافية قد يكون بفعل عوامل طبيعية ، فقد يثور البركان أو تحدث ذبذبات في المناخ أو قد يغير النهر مجراه دون تدخل الإنسان (غيث محمد عاطف ، 1989 ، ص328)

2- عوامل الديموغرافيا و خصائص الجماعة الإنسانية :

إن التحول أو التعديل الذي يحدث في الجماعة الإنسانية ، هو مصدر آخر للتغير الاجتماعي ، على أساس أنها عبارة عن وحدات تقوم ببعض الوظائف الاجتماعية الهامة ، لذلك فإن التغيرات التي تتم في الجماعات الإنسانية تعكس الأنساق الخاصة بالسلوك المتوقع و النماذج الاجتماعية السائدة بما تتضمنه من معايير سلوكية و قيم .

وهنا يمكن الإشارة إلى نماذج من التغيرات التي تعني الجماعة الإنسانية و التي تؤدي إلى التغير الاجتماعي :

أ) التغير في كثافة السكان

ب) التعديلات التي تحدث في تكوين متغير الجنس أو متغير العمر

ج) التغيرات التي تحدث في عدد أو أنواع وحدات الجماعة

د) اختفاء نماذج قديمة من الجماعات أو ظهور جماعات جديدة منها

(عاطف غيث ، 1989 ، ص 328)

من الملامح الهامة التي تظهر على الجماعات الإنسانية بفعل التغير الاجتماعي هي الحاجات الاجتماعية التي كان السلوك الجماعي يقوم بها ، فحاجات الأسرة الممتدة (الكبيرة) تختلف أساساً عن حاجات الأسرة النووية (الصغيرة) فالأولى قد تكتفي ذاتياً أما الثانية بحاجة إلى

مؤسسات جديدة قد أوجدها المجتمع نفسه لتغطية الحاجات و الوظائف التي تحتاجها الأسرة ، كالروضة و المدرسة و السينما و النادي الرياضي وهكذا .. .

إن التغيرات الجماعية سوف تغير إمكانيات السلوك الاجتماعي و الوظيفة الجماعية ، فالأسرة الممتدة ـ غالبا هي تعيش في المجال الريفي ـ يمكن أن تقوم بعدة وظائف ، في الوقت الذي قد تعجز عن أدائها الأسرة الحضرية ، بالإضافة إلى ذلك تتغير التوقعات الاجتماعية بتغير المدى و النماذج و الحجم و تعقد البناء الاجتماعي .

معنى هذا أنه كلما صغر حجم الأسرة فإنها تصبح أقل قدرة على مواجهة الظروف الجغرافية المتعلقة بالزراعة مثلا ، وكلما صغر حجم الأسرة فإن الأنساق الثقافية و القيم المتصلة بالنظام الأسري يتغير تغيرا مهما .

3 ـ **عوامل التكيف الثقافي** :

ما هو معلوم أن العناصر الثقافية منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي ، وأن التجديد إنما يقع في الداخل الثقافي أو خارج الثقافة ، عن طريق :

ـ الاختراع

ـ الانتشار الثقافي

ـ الاستعارة أو التكييف الثقافي

فأثناء عمليات التغير ، قد تفقد بعض العناصر الثقافية القديمة ، وقد تستمر و تتكيف مع العناصر الثقافية الجديدة و تحدث صور مختلفة أو تتغير فيها أنماط السلوك الاجتماعي ، فالتغير الثقافي يؤثر على تغيير الحاجات و وقد تتغير معها طرق إشباع تلك الحاجات ، كما تعدل مدى الامكانيات السلوكية .

مثال : قد تتغير الأسرة من حيث الحجم و هذا يؤثر على طريقة عيشها و طبيعة مطالبها وطرق إشباع الحاجات الجديدة ، و على الوظائف و الأدوار ، ورغم ذلك قد تبقى تعيش على إمكانيات ثقافتها الأصلية ، مهما استعارت من العناصر الثقافية الجديدة وخاصة منها المادية كالأدوات التكنولوجية المنزلية ، فهي تعيش جنبا لجنب مع العناصر القديمة وخاصة منها المعنوية .

4 ـ العوامل الاقتصادية :

ويشير هذا العامل إلى مشاريع التنمية ذات البعد الاجتماعي الاقتصادي ، والذي في الغالب يخضع لبرامج و مخططات تهدف إلى التأثير بالإيجاب على أنساق اجتماعية و إحداث التحولات الإيجابية بغرض تحقيق الرضى النفسي و الاجتماعي وتقديم خدمات فعلية ومتعددة و أنسنة مجالات اجتماعية خدماتية قطاعية في :

ـ التعليم

ـ الصحة

ـ الشغل

ـ النقل

ـ الضمان الاجتماعي

ـ إحداث ديناميكية للتصدير والإيراد

ـ و توفير السلع و مختلف المواد .

5ـ العوامل السياسية :

تتعلق هذه العوامل بأساليب الحكم وطرق الهيمنة على السلطة و الانتشار السياسي ، وهي تعبر على مدى إنتاج المنظومة الفكرية و الإيديولوجية باعتبارها المحرك الحقيقي للفعل السياسي أو إنتاج السلطة و إعادة إنتاجها ، سواء تعلق الأمر بالمستوى الداخلي أو بمستوى الدبلوماسية والسياسة الخارجية للسلطة في أي مجتمع .

المحاضرة رقم 12 :

عوائق التغير الاجتماعي

هناك عوائق و حواجز تقف في وجه التغير الاجتماعي مما يؤدي إلى تعطله أو منعه أو بطء حصوله وذلك في فترات زمنية قد تكون طويلة و قد تكون قصيرة ، حسب خصوصية المجتمع و صلابة تنظيماته وحسب طبيعة التغير في حد ذاته ، وفيما يلي نذكر بعضا من العوائق :

1 / المقاومة الثقافية :

خاصة تلك التي تتعلق بالعناصر الثقافية اللامادية وهي بطيئة القبول من حيث التغير ، أي يلزمها زمنا أطول من أجل أن تتغير لأنها مرتبطة بأطر تقليدية راسخة ، ولذلك يقابلها الناس بمقاومة قوية ، أما العناصر الثقافية المادية فهي أكثر تقبلا و خاصة تلك التي تتعلق بالجوانب التكنولوجية والتطبيقات التقنية فهي سريعة التقبل و الاستدخال .

2 / الوضعية التاريخية للمجتمع :

إن عزل المجتمع لنفسه اجتماعيا و تاريخيا قد يسبب وضعية تضفي عليه حالة من التغير نتيجة لقوى خارجة عن إرادته .

3 / الوضعية الجغرافية للمجتمع :

إن تأثير الظروف الطبيعية أو الاقتصادية أو حتى السياسة الخارجية واضح جدا بالنسبة لوتيرة التغير الاجتماعي ، و" للعولمة " تأثير كبير على المجتمعات بحيث هي تمثل هيمنة نمط اقتصادي اجتماعي و في النهاية ثقافي من مجتمع يملك وسائل السيطرة و القوة و الإقناع ويمارسها على مجتمع آخر ضعيف الممارسة و الإقناع فهو مغلوب و عاجز ، يؤسس لنفسه ثقافة استهلاكية تجعله يتآكل من الداخل .

4 / فئة الناس :

الناس أمام التغير ـ على العموم ـ نوعان : محافظون و مجددون

5 / انعدام روح التجديد :

سيادة روح اللامبالاة و الأنانية .

السُّداسي الرّابع

التّغيير الاجتماعي

المحاضرة رقم 13 :

فلسفة التغيير الاجتماعي

يشير مفهوم التغيير الاجتماعي إلى وضعيات جديدة تحدث بإرادة فعلية على البناء الاجتماعي ، والنظم ، والعادات ، وأدوات المجتمع نتيجة لتشريع أو قاعدة جديدة لضبط السلوك ، أو كنتاج لتغيير إما في بناء فرعي معين أو جانب من جوانب الوجود الاجتماعي أو البيئة الطبيعية أو الاجتماعية ، كما يفهم التغيير الاجتماعي بوصفه تغييرا في البناء الاجتماعي مثل حجم المجتمع و تركيب القوة و التوازن بين الأجزاء أو نمط التنظيم ، و ينظر كذلك للتغيير الاجتماعي على أنه ينطوي على التعديلات التي تحدث في المعاني و القيم التي تنتشر في المجتمع أو بين بعض جماعاته الفرعية .

كما يشير هذا المفهوم إلى الفعل الاجتماعي الموجه نحو إحداث التحول و الانتقال وكذلك يشير إلى إرادة التغيير وفق أهداف مشتركة بين الفاعلين الاجتماعيين كالنخب على اختلاف تخصصاتهم ومستوياتهم وكالحركات الاجتماعية و المجتمع المدني .

المحاضرة رقم 14 :

التخطيط وسيلة للتغيير الاجتماعي

أصبح التغير الاجتماعي حقيقة وواقع في كل المجتمعات على اختلاف درجات تعقدها و ميزاتها الثقافية و مستوياتها الاقتصادية ، وإن بدت هذه الظاهرة متباينة في الشكل و المضمون ، فهو تباين في الدرجة وليس في النوع ، ولقد كان للتوسع الفكري و التقدم التكنولوجي أثر في تطوير وسائل الاتصال الحديثة و التي ساهمت أساسا في إحداث تغييرات اجتماعية .

لقد تطور تفكير الإنسان و انتقل من مستوى إلى مستوى آخر، ولعلّ من ميزات مستوى هذا العصر أنه " مستوى التخطيط " ، ولذلك قد لا نستطيع أن نفهم طبيعة ما يجري حولنا أو نقوم بعملية التشخيص للظواهر أو نحدث تحول ما ، في البنى و الوظائف ، إلا إذا عرفنا التصورات التي بُني عليها التخطيط واطلعنا على أسسه و قرأنا مفاهيمه الأساسية .

على هذا الأساس فإنّ التّخطيط له صلة وثيقة بالتغيير الاجتماعي ، لأنه قد يمثل أداة من أدواته الأساسية ، باعتباره وسيلة فنية فعالة من أجل ضبط توجهات التغيير و أهدافه المشتركة بين الفاعلين الاجتماعيين .

تعتبر فلسفة التخطيط مادة مهمة للبحث و الدراسة وهي من أكثر الموضوعات التي يجب الانتباه إليها والالتفاف حولها ، و يرى " آرثر لويس " : أن السؤال الذي يواجهنا اليوم ليس هل نخطط ؟ وإنما كيف نخطط ؟

هذا معناه أنّ التخطيط أصبح حقيقة و واقع ، كما أصبح يشكّل مستوى من المستويات الأساسية للتفكير الإنساني و أداة أساسية من أدوات التطبيقات و المقاربات ذات الطابع الفني و التقني ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، بل أصبح واحد من أسس الفلسفة المعاصرة .

خصائص التخطيط الاجتماعي

التخطيط الاجتماعي عملية شاملة :

التخطيط يشمل عدة جوانب من الحياة حتى يستطيع أن يحقق أهدافه بصورة شاملة و هذه الجوانب هي : الجانب الثقافي (المعرفي الإيديولوجي القيمي الفكري التصوري) ، الجانب الاجتماعي ، الجانب التربوي ، الجانب التعليمي ، الجانب السياسي ، الجانب الاقتصادي ، الجانب القانوني ، الجانب الفني ... .

التخطيط الاجتماعي عملية جماعية :

مادام أن التخطيط شامل فهو جامع لعدة طاقات و قدرات بشرية ، لذلك فهو جماعي و هو من الضروري أن يكون قائما على :

1 / وعي الجماهير أي الوعي الجماعي

2 / التقبل الجماعي لفكرة التغيير

التخطيط الاجتماعي مرتبط بحاجيات المجتمع :

حتى يكون التخطيط ناجعا و فعالا ، هنا يجب التأكيد على مسايرة الفعل الاجتماعي و الفاعل الاجتماعي للحاجيات الحقيقية للمجتمع وهذا يستوجب :

1 / تحديد حاجيات المجتمع :

أ / إن الثورات الناجحة هي تلك التي استطاعت و تستطيع أن تحدد المرحلة التي تمر بها ، وعلى ضوء هذا التحديد تستطيع أن تحدد القوى الاجتماعية التي تحتاجها

ب / الارتباط بالمسألة الاجتماعية

2 / معرفة طرق إشباع هذه الحاجيات .

أهداف التخطيط الاجتماعي :

يهدف التخطيط الاجتماعي إلى :

1 / تماسك المجتمع

2 / تقوية العلاقة بين الأفراد و المؤسسات

وهذا يؤدي إلى :

أ ـ شعور الفرد بقوة الانتماء و الولاء (تقوية الإيديولوجيا)

ب ـ المشاركة الفعالة في القيم و المعايير

ج ـ قوة التعبير

التخطيط الاجتماعي هو تغيير مقصود :

التخطيط الاجتماعي هو عملية اجتماعية تتضمن برنامج تغيير مقصود وفق إرادة واعية من أجل التغيير ، وهذه العملية قائمة على فلسفة اجتماعية و هذه الفلسفة بدورها تتضمن :

1/ منهج للتغيير (رؤية + أهداف + مراحل و خطوات)

2 / تحديد أدوات التغيير و وسائله وفق الزمان و المكان + الاستقصاء + المناقشة و الحوار + الاتفاق و الإجماع + توزيع العمل و التنفيذ .

ملاحظة :

أ / عند التخطيط من أجل استحداث تغيير ما ، داخل البناء الاجتماعي يجب أخذ في الاعتبار الآثار المباشرة و المتنوعة و المتتابعة و المرتدة لهذا التغيير أو التجديد ، كما يجب التخطيط لمعالجة أو مواجهة ما يحدثه التجديد من آثار .. مثال على ذلك :

ـ إن التخطيط للرعاية الصحية يجب أن يصاحبه تخطيط متزامن لما يترتب على هذه الرعاية من زيادة في السكان

ـ و إن التخطيط للتعليم يجب أن يصاحبه تخطيط مماثل لما يترتب على التعليم من ارتفاع في المستوى ، و بالتالي تنوع أنماط الطلب عن عمل مناسب وتزايد حجمه .

ب / إن التغيير من أجل التجديد هي مسألة تغيير ثقافي في المرتبة الأولى ، وذلك لارتباطها بالبناء الثقافي القائم داخل المجتمع ، و هذا يتطلب ضرورة معالجة هذه المسألة من مداخل نفسية اجتماعية ، أي البنية التكوينية للإنسان ، لأن ما يدفع هذا الأخير إلى الفعل و التغيير أو التجديد يتمثل فيما يتوقعه من منافع و فوائد داخلية و خارجية ، فإن مضمون تصور الفائدة أمر يرتبط بطبيعة البناء الثقافي للمجتمع .

المحاضرة رقم 15 :

الفعل الاجتماعي

في بداية الكتابات السوسيولوجية تفرع الاتجاه النظري لدراسة الفعل الاجتماعي عن نظريات السلوكية الاجتماعية ، وقد تطور هذا الاتجاه من خلال أعمال و مناقشات كل من " ماكس فيبر" و "روبير ماكيفر" و " كارل مانهايم" و " فلوريان زنانيكي" و" تالكوت بارسونز" .

وتقوم نظرية الفعل الاجتماعي على تأكيد المعنى الذاتي في موقف الفاعل ذاته ، و إلى ضرورة دراسته من منطلق القيم الخاصة التي يؤمن بها هو ، و دراسة الأفعال من خلال التصرفات التي يقوم بها الأشخاص في أنساق معينة للعلاقات الاجتماعية و في حدود مواقفهم المؤطرة ثقافيا ، وقد عمل أصحاب نظرية الفعل الاجتماعي على تأكيد هذه المعاني في ظل تحاشي فكرة السلوك على الرغم من أنها متفرعة منها . (عاطف غيث ، القاموس ، ص16)

كما يعتبر علماء الاجتماع أن إضافة صفة " الاجتماعي " للفعل يشترط توفر القصد في توجيه سلوك الفاعل ، ومعنى ذلك أن التفاعل هو السياق الذي تنمو فيه الشخصية ، أي أن الفعل يصبح اجتماعيا عندما يتصرف الفاعل بطريقة مؤثرة على الآخرين ومنه يمكن التأكيد على أن أساس التفاعل الاجتماعي هو التصرف الاجتماعي ، وهذه البوتقة هي التي ينمي فيها الأفراد شخصياتهم و يكونون فيها علاقاتهم ويتبادلون فيها التأثير .

أول من استخدم مصطلح الفعل الاجتماعي في علم الاجتماع هو "ماكس فيبر" وقد أكد على أهميته كأساس للنظرية ، ومن أهم نقاشاته هو تصنيف الفعل الاجتماعي إلى :

- فعل اجتماعي عقلي

- فعل اجتماعي تقليدي

- فعل اجتماعي عاطفي / انفعالي

وطالما أن الفعل الاجتماعي العقلي هو موجه و مقصود و مرتبط بأهداف محددة ، فهو أهم الأفعال ، و يسمى أيضا بالفعل الاجتماعي الرشيد ، فإذا كان الفعل معزولا عن الآخرين ، غايته ذاتية لا يستهدف إلا ذات الفاعل فهو فعل غير حي ، لكن حينما يكون التصرف فعلا موجها

نحو شخص آخر هنا يصبح جماعيا و يأخذ صفة " الاجتماعي " و يؤسس لمعنى التفاعل الاجتماعي و تبادل التأثير .

إن الفعل الاجتماعي لا يسمى كذلك إلا إذا كان له هدف يوجه نحوه و تسبقه حالة من التفكير العاقل و الدافعية المحددة ، بغض النظر عن طبيعة الهدف وبغض النظر كذلك عن طبيعة القيمة التي تقف وراء الفعل .

جدير بالذكر أن الدارسين لم يهتموا كثيرا بمدى قوة الدافع و السبب من أجل القيام بالفعل أو بمدى إنجاز الهدف أو عدم إنجازه أو بمدى الدقة التي حققت بها الأهداف ، بقدر ما اهتموا بالصفة الاجتماعية التي ألحقها الفاعل بالفعل ، فالفعل الاجتماعي وفقا لتعريف " ماكس فيبر " هو السلوك الإنساني الذي يحمل معنى اجتماعيا خاصا يقصد إليه فاعله بعد أن فكر و توقع رد الفعل من الأشخاص الذين يوجه إليهم سلوكه ، وهذا هو المعنى الجوهري لمفهوم التفاعل الاجتماعي .

المحاضرة رقم 16 :

الفاعلون الاجتماعيون (1)

بعد تطرقنا لموضوع التغير ثم التغيير ، كان لزاما علينا أن نعرج على موضوع الفعل الاجتماعي ، لأن التغيير كمفهوم تقف وراءه جملة من الأبعاد و المؤشرات منها إرادة الفعل الاجتماعي والقيام بالسلوك الاجتماعي الواعي و المناسب من أجل إحداث عملية التغير في الأنظمة الاجتماعية ، ولا فعل اجتماعي إلا بفاعل اجتماعي ، فمن هم الفاعلون الاجتماعيون ؟

في البداية نسلّم بأن الفاعل الاجتماعي هو كل من له القدرة على إحداث تفاعل اجتماعي مع الآخر ، و كل من له القدرة على التأثير و الإقناع في الآخر ، وكل من له القدرة على قيادة الآخرين ، وكل من له القدرة على صناعة الفعل الاجتماعي وبالتالي كل من له القدرة على إحداث التغيير وفق أهداف محددة ووفق مخطط معين ، وكل من له القدرة على توظيف واستخدام الوسائل و الأدوات المناسبة في المكان المناسب و في الزمان المناسب ، وهذا يتطلب من الفاعل مجموعة من الخصائص النفسية و الاجتماعية و المهارات و القدرات و الكفاءات ، كالقدرة على الاتصال و التواصل و الإقناع ، وكمعرفة الرموز المشتركة بينه و بين الآخرين والقدرة على توظيفها في الاتجاه الصحيح ، وكذلك الاطلاع الواسع على ثقافة المجتمع وتراكم الخبرات الاجتماعية المختلفة .

النخبة :

إن الدلالة اللغوية لمصطلح النخبة تشير إلى الاشتقاق من فعل نخب و انتخب انتخابا ، أي اختار و انتقى و اصطفى ومنه الاختيار و الانتقاء و الاصطفاء (الصفوة) وجاءت الصفوة أيضا من صفا يصفو صفوا ، و يقال صفا فلان القدر بمعنى استخلص ما فيها ، ونخبة القوم هم خيارهم .

أما الدلالة الاصطلاحية فلها مسار تاريخي في اللغة اللاتينية ، وقد كانت تشير في القرن السابع عشر ميلادي انتقاء البضاعة ذات الجودة الممتازة ثم توسع المفهوم ليشمل الجماعات الإنسانية العليا المتصفة بالمكانات الاجتماعية المختلفة كالنبل و اعتلاء المراتب العسكرية العليا .

وقد ظهر مصطلح النخبة عند بعض المفكرين ك" توماس بوتومور " في 1823 ، و كما ظهر أساسا عند " باريتو فلفريدو " (1848 / 1923) الذي يرى أن النخبة هم أفراد تتوفر فيهم

شروط التفوق و التميز و القدرة على التمايز ضمن نشاط اجتماعي ما في مجتمعهم ، ولهم القدرة على بلوغ الطليعة في مجالات اجتماعية وفنية و اقتصادية و حربية معينة .

وظف " باريتو " مصطلح النخبة كمفهوم أساسي لنظريته ردا على نظرية " كارل ماركس " حول الطبقة السياسية و الصراع الطبقي ، لذلك فهو يرى أن النخبة مجموعة من الأفراد تمكنوا في مجالات الحياة الاجتماعية وقاموا بإنجازات في المجال الفني و المهني و استطاعوا أن يرتقوا في بنية الحراك الاجتماعي و بالتالي اعتلوا قمرة قيادة المجتمع وهذه قاعدة أساسية في ديناميكية الجماعة الإنسانية على حد تعبير المختصين في علم النفس الاجتماعي .

من هذا المنطلق فقد اعتبر " باريتو " أن بناء و تشكل النخبة إنما هو معطى سوسيوسيكولوجي من خلال الاستعدادات الفردية داخل الجماعة ، وجملة المواهب و المهارات و القدرة على توظيفها و استخدامها ، كما اعتبر الفروق الفردية هي أساس تأهيل بعض الأشخاص و توظيف ذكائهم لبلوغ الطليعة و الصف الأول و قيادة الآخرين .

على هذا الأساس ميّز " باريتو " صنفين من النخبة :

ـ نخبة حاكمة تتولى السلطة و شؤون الحكم و السياسة و هي قادرة على ممارسة فنون التسيير والإدارة و القيادة أي الأخذ بالناس إلى أهدافهم في مختلف مناحي الحياة العامة

ـ نخبة يتواجد عناصرها في مراكز اجتماعية مختلفة و هي مؤثرة جدا وفاعلة و فعالة في الإنتاج الفكري و الاقتصادي و الإعلامي وكل الفنون التي يعرفها المجتمع ، حيث تظهر مجموعة محدودة العدد قادرة على قيادة مجموعة أخرى كثيرة العدد لكنها منقادة .

يعرف "هانزدريتزل " النخبة بأنها تتكون من الذين يحتلون مواقع عليا في جماعة ما أو في منظمة ، وقد بلغوا هذه المكانة بفضل اختيارهم و انتقائهم على أساس قدراتهم التي تميزوا بها ، وهذا ما جعلهم يملكون السلطة و التأثير و قوة النفوذ ، بل و أصبحوا يأخذون بأيديهم قرار التغيير ضمن بنية التنظيمات الاجتماعية و يتحكمون في المعايير التي تحقق ذلك التغيير ، وأصبحت مكانتهم تؤهلهم ليكونوا نموذجا للاقتداء و التأثير في و على الآخرين .

أما " جيتانو موسكا " (1858 / 1941) و الذي أراد أن يقرأ التاريخ من خلال صيرورة ديناميكية تترجم سيطرة الأقلية على الأغلبية وقد استخدم مفهوم الطبقة السياسية على غرار الماركسيين غير أنه لم يشحن مفهوم الطبقة بالبعد الاقتصادي ، مركزا على متغير آخر وهو القوة كمفهوم أساسي في ممارسة السلطة ، قوة الوجود و قوة البراهين و قوة الشرعية وقوة

الإيديولوجية و قوة الديموقراطية ، كلها مبررات كافية و ضرورية لمجموعة صغيرة تمثل الأقلية من أجل قيادة المجتمع بالأغلبية و بلوغ سدة الحكم .

بالنسبة لـ " رايت ميلز " (1916 / 1962) فقد صدر له كتاب " نخبة السلطة " وقد عني بظهور القيادة في المجتمعات الرأسمالية للقرن 20م وهي تنظيمات اجتماعية ناشئة عن التحولات و التغيرات الاجتماعية و السياسية وانعكاساتها على المجتمع من خلال :

1ـ التطور التكنولوجي و تقدم البحث العلمي

2ـ التطور الصناعي الذي أنتج التطور الاقتصادي و الذي ساهم بشكل مباشر في إنشاء الورشات الكبرى و العملاقة وخاصة في عهد الرئيس الأمريكي " إيزنهاور " ، وقد لاحظ ميلز أن النخبة تسيطر على ثلاثة مجالات أساسية :

ـ المؤسسة السياسية و فيها القيادات التي تحتل المواقع الجد متقدمة و الطلائع ضمن مؤسسات الحكم و القضاء و البرلمان و الأحزاب السياسية و المنظمات و الجمعيات ذات الطابع القومي

ـ المؤسسة العسكرية و التي تشمل خاصة الضباط السامين المتخرجين من الأكاديميات العسكرية .

ـ المؤسسة الصناعية و تشمل القيادات المتنافسة على جودة الإنتاج و التميز و المتصارعة في كثير من الأحيان على احتلال المراتب الأولى .

ملاحظة :

لا يمكن نكران ما للمؤسسات المذكورة أعلاه من علاقات تفاعلية و علاقات تأثير و تأثر وقد وظفت هذه المؤسسات كل ما تملك من قوة للحفاظ على مربع القيادة و خاصة في عنصرين أساسيين و هما :

ـ التوسع الاستعماري ضمن ما يعرف بالبحث عن اليد العاملة و عن المواد الأولية وعن تطوير التسويق وعن الأسواق خارج أمريكا ، لهذا فهي لم تدخر جهدا في مسألة تصنيع الأسلحة

ـ تطوير وسائل الإعلام و الإشهار بمقاييس شاملة من أجل التأثير على العنصر البشري الأمريكي وغير الأمريكي و بلوغ الدرجة العالية من الإقناع من خلال قوة المنطق و قوة العاطفة وبالتالي بات البحث عن التوسع التجاري المهمة الأساسية لهذه النخبة .

على الرغم من أن ميلز أكد على أن نظام الحكم في أمريكا قائم على دلالات إيديولوجية سياسية وأن مفهوم نخبة السلطة هو المفهوم الذي يستطيع أن يفسر هيمنة الأقلية على صناعة القرار داخل دواليب الحكم ، إلا أنه وجد بأن هناك عاملين هامين يساهمان في إعادة إنتاج نخبة السلطة ويحافظ على مكانتها و مواقعها و هما :

ـ التوافق النفسي الاجتماعي بين عناصر هذه النخبة و الذي يساهم مباشرة في إحداث التقارب والمصاهرة و القرابة العائلية بين هذه الفئة وتشكيل تكتلات أسرية كبيرة .

ـ المصالح المشتركة : أشرنا إلى العلاقة التفاعلية بين عناصر نخبة السلطة القائمة على المصالح المتبادلة ، كأن تقوم الورشات الصناعية العسكرية بتمويل الحملات الانتخابية لمرشحي الأحزاب السياسية على أن يعمل السياسيون الظافرون بالسلطة بدعم و تسليح الجيش عن طريق شراء أسلحة المصانع العسكرية ، بل و تطوير تسويقها للخارج ، حتى ولو كلف ذلك شن الحروب في مناطق مختلفة من العالم .

المحاضرة رقم 17 :

الفاعلون الاجتماعيون (2)

أنواع النخب :

1 / النخبة المثقفة :

في الحقيقة لا أود أن أربط كثيرا مفهوم النخبة المثقفة بالمستوى التعليمي و لا بالشهادات الأكاديمية و لا الفنية بقدر ما أريد التركيز على فكرة القدرة على الإنتاج للفعل الاجتماعي الفكري والعلمي و الفني و الثقافي بشكل عام ، و القدرة على المشاركة في الحركة العلمية والفكرية و الفنية وتسجيل المساهمات الفعلية و الفعالة ، ومن جهة أخرى طيلة مساري المعرفي ومن خلال إنتاجاتي العلمية و المحاضرات أؤكد على وجوب التمييز بين المستوى الثقافي والمستوى التعليمي للشخص ، عن طريق فكرة الإنتاج دائما ، لأن المستوى الأكاديمي يقاس بالشهادات مثلا ، لكن يبقى المستوى الثقافي يحدد عن طريق القدرات النفسية الاجتماعية في مجال العلاقات و التواصل و المهارات الفنية في مختلف مناحي الحياة : في العلوم والآداب والفنون المختلفة .

2 / النخبة الدينية :

قد تعتبر جزء من النخبة المثقفة ، غير أني أدرجتها لأوضح بعض المعاني حول مفهوم النخبة الدينية و مفهوم الدين ، فإذا انطلقنا من قاموس الثقافة الإسلامية فلا وجود لمعنى رجل الدين وهذا قد يسوقنا إلى مناقشة مفهوم التدين وممارسته و كذلك مفهوم التربية الدينية و التعليم الديني و التفقه و الإمام و الدعوة إلى الدين والخطاب الديني وغيرها من المفاهيم التي تحتاج إلى ضبط سوسيولوجي وفق منظومة خاصة بنطاق الحضارة الإسلامية .

على هذا الأساس ، قد يقصد بالنخبة الدينية كل من له القدرة على نشر وتبليغ والدعوة إلى الدين وفق شروط موضوعية وضرورية منها :

ـ مستوى معين من الممارسة لتعاليم الدين

ـ الاطلاع على جملة العلوم و الفنون : كعلم التوحيد و العقيدة الإسلامية أو علم القرآن و علم الحديث والسنة النبوية و أصول الفقه و الفقه و السيرة و التفاسير

ـ مستوى معين من العلم باللغة العربية و البيان

ـ مستوى معين من معرفة التاريخ و الفلسفة

وقد يندرج تحت هذه المظلة كل من : الأساتذة و أئمة المساجد و شيوخ الزوايا ومعلمي المدارس وكذلك الدعاة و الخطباء و الفقهاء والكتاب والفلاسفة و هكذا .

أما النخبة الدينية في المفهوم غير الإسلامي فلها بعض الخطوط المتقاطعة مع تلك التي في المجتمع الإسلامي ، كما لها بعض الخصوصيات حينما يتعلق الأمر بكل من يقود المتدينين أو وجهاء الطوائف الدينية أو كل من يشتغل باللاهوت و فلسفة العقائد كتابة و بحثا و تدريسا وكل من يشكلون مراجع دينية روحية و فكرية .

3 / النحبة السياسية :

هي النخبة التي تتصدر المشهد السياسي وتحتل قيادة الطلائع السياسية و الأحزاب وأعضاء الحكومة من الوزراء و المستشارين و أعضاء المجالس المنتخبة كالبرلمان ، وكما رأينا في السابق أن كثيرا من الدراسات ركزت على النخبة السياسية كأقلية تتحكم في الفعل السياسي وتهيمن على دواليب الحكم وبيدها في كثير من الأحيان القدرة على صناعة القرار السياسي المتعلق بالسلطات المختلفة كالسلطة التشريعية و السلطة القضائية .

4 / النخبة العسكرية :

هي النخبة التي تشكل مجموع القوى العسكرية ضمن المراتب السامية كالضباط القادة و العمداء والرواد وأعضاء قيادة الأركان ولها من مجال التأثير ما يجعلها قوة اجتماعية سياسية كتنظيم مهم جدا في المجتمع بحكم الوظيفة المنوطة بها ولاسيما الدفاع و حراسة الحدود .

5 / النخبة التكنوقراطية (التنظيم و الإدارة) :

وهي النخبة التي تقود عمليات التسيير و الإدارة و التحكم في الشأن العام ، ولذلك فإن هذه النخبة لها تفاعل مباشر مع النخبة السياسية مادام أنها قادرة على صناعة القرار الإداري والبيروقراطي كنتيجة للقرار السياسي .

وهي أقلية متخرجة من الجامعات والمعاهد و المدارس المتخصصة و مراكز التكوين وبعد الممارسة و تراكم الخبرة عن طريق التوظيف و الترقية يشكلون كتلة نخبوية مؤثرة و قائدة في المجال الإداري و التسيير .

6 / نخبة أصحاب المال و الأعمال :

هي كتلة من أفراد تمكنوا عن طريق التجارة الداخلية و التسويق الداخلي أو عن طريق الاستيراد و التصدير أو عن طريق التصنيع من تكوين ثروات ورؤوس أموال وأرصدة مالية ضخمة وشبكات للأعمال ، فامتلكوا المصانع العملاقة و الورشات الكبيرة و المزارع ذات المساحات الواسعة وهيمنوا على العقارات بمختلف أنواعها ، وقد نجد احتكاكا لهم مع النخبة السياسية المتحكمة في السلطة كنوادي صناعية أو اتحادات تجارية أو منظمات مقاولاتية تهيمن على المشاريع و الصفقات الكبرى و الاستثمار، ولهم من الأساليب ما يسهل عليهم احتكار وسائل النقل و الممرات و مراكز العبور و الموانئ ، وقد تؤثر تلك النخبة بشكل مباشر على القرار السياسي على المستوى المحلي والمستوى الدولي .

7 / النخبة الرياضية :

هي الفئة الطلائعية في عالم الرياضة و في مختلف الرياضات و التي استطاعت أن تتحصل على الصدارة و على المراتب الأولى في جملة المنافسات و البطولات ذات الطابع المحلي أو الأولمبي أو العالمي ، وهي متحصلة على الميداليات و الكؤوس ، وتعرف هذه النخبة باسم الأبطال أو النجوم .

8 / النخبة النسوية :

هي النخبة ذات الخصوصية الجنسية ، بحيث تتشكل من فئة النساء فقط اللواتي يملكن القدرة على القيادة و التأثير، بحيث تستطيع إلى حد ما أن تقود الفئات النسوية إلى توسيع المشاركة في كل مناحي الحياة : السياسية و العلمية والصحية و القضائية و الاقتصادية و الرياضية و الفنية وغيرها ، كما تقود الحركة النسوية نحو الدفاع عن حقوق المرأة على المستوى المحلي و على المستوى العالمي ، ولذلك تجد هذه النخبة تتربع على قيادة الهيئات النسوية ، بل أصبح يسمح لها بالانضمام إلى جميع التنظيمات و الهيئات ذات الصلة بالسلطة و أصبحت المرأة تتقلد مناصب في الحكم وتترشح للانتخابات وتشارك في مواقع القرار السياسي ، يحدث هذا في العالم كله و في العالم العربي بنسب مختلفة .

المحاضرة رقم 18 :

الفاعلون الاجتماعيون (3)

النخبة منتوج اجتماعي :

هنا لا يمكن نكران ما للتنشئة الاجتماعية و مؤسساتها المختلفة ، من دور فعال في إنتاج النخب وفق أهداف المجتمع وطبقاته ووفق سيرورته و ديناميكيته وهناك متغيرات وعوامل كثيرة تتدخل وتتداخل في هذا الموضوع .

دور الأسرة في إنتاج النخب :

يقوم الرأسمال الثقافي وحتى المالي التي تملكه الأسر بدور بارز في إعادة إنتاج النخبة لدى الأجيال المتلاحقة ، بحيث يحاول الآباء غرس القيم و المبادئ الضرورية و الكافية من أجل استنساخ الذهنيات و الاتجاهات في الجيل الجديد من أجل ضمان البقاء ضمن الطبقة الاجتماعية ذات الاتجاه النخبوي والمحافظة على المسار الأسري من خلال عملية التوريث :

ـ توريث المكتبات العلمية و الرأسمال الثقافي

ـ توريث التخصصات العلمية

ـ توريث المهن و الوظائف (في الطب و القضاء والهندسة و الاستشارة و الفنون والدفاع وغيرها)

ـ توريث رؤوس الأموال و الأرصدة المالية

ـ توريث الحرف والصنائع

ـ توريث الأصول و المحلات التجارية و المصانع

ـ توريث العقارات المختلفة ..وغيرها

وهناك نوع آخر من الأسر الناشئة وهي في طور التكوين قد تكون غير مرتبطة بأي طبقة اجتماعية أو مجموعة معينة ، تحاول الالتحاق بركب النخب مهما كان نوعها ، وذلك بإعداد الأبناء وتنشئتهم على القيم التي تدعمهم وتساعدهم على بلوغ الصدارة في ميدان ما و القيام

بالدور الطلائعي ، وفي كثير من الأحيان هي تعتمد على مواردها الخاصة وتعتبر ذلك استثمارا في العنصر البشري .

دور المدرسة في إنتاج النخب :

في الأصل أوجد المجتمع المدرسة بكل أطوارها ، من أجل وظيفة التربية و التعليم ومن أجل تهذيب السلوك و التدريب على المهارات المختلفة و تنمية القدرات و صقل المواهب ، وذلك وفق منهاج محدد وطاقم من المربين و المعلمين المؤهلين للقيام بهذه المهمة الموجهة نحو الأجيال المتلاحقة من خلال مستويات متدرجة يعبرها الجيل مرحلة بعد مرحلة .

هذه المؤسسة الاجتماعية ذات الطابع النظامي ، من شأنها المساهمة بشكل مباشر في إعداد النخبة و تأهيلها للقيام بالدور المنوط بها في المستقبل ، وهي تشكل الأرضية و الطريق الممهد للدخول للجامعات و المعاهد و المدارس العليا في التخصصات المتعددة : التجارة ـ إدارة الأعمال ـ المالية و المحاسبة ـ المقاولاتية ـ الإدارة و التسيير ـ الجمركة ـ وغيرها .

مميزات النخبة :

من دون شك لا يُطلق مصطلح " نخبة " إلا على من تتوفر لديهم مميزات و خصائص تؤهلهم إلى الانتماء لنطاق النخبة ، سنذكر بعضا منها اعتمادا على النظريات الكلاسيكية و الدراسات التي تناولت الموضوع و مع الرواد الأوائل :

1 / التميز : تقول الحكمة " لست وحدك و لكن حاول أن تكون الأفضل " ، " سوف لن ترض بالزحف إن كنت ترغب في التحليق " ، بهذه المعاني القوية و غيرها يُبعث الدافع في نفوس الناشئة من أجل التميز عن الناس العاديين ، وهو بمثابة المنطلق السيكولوجي للنخبة ، ويمثل هذا الاتجاه النفسي "باريتو " الذي يرى بوجوب توفر مميزات ذاتية و فروق فردية ظاهرة ، من أجل بلوغ الصدارة ومقدمة الطلائع الاجتماعية ومنها : النبوغ و التفوق و الذكاء و قوة الطرح والإقدام والقدرة على الإشراف وعلى قيادة الآخرين و روح التنافس .

2 / التنظيم : قال الحكيم مصطفى الرافعي " من الغلط أن تحاول تنظيم ما حولك و تترك الفوضى في داخلك " ، ومن فَقَد النظام الداخلي و التنظيم داخل الذات فكيف سيجدها خارج الذات ؟ ، و من أنصار هذا الاتجاه التنظيمي في دراسة النخبة "موسكا " و "ميتشلز " وغيرهما ممن يرون في القدرة على التنظيم أو القوة التنظيمية كشرط جوهري يجب أن يتوفر في النخبة ، وتعد هذه الميزة من بين أهم الميزات في النخبة السياسية وخاصة في هذا العصر أين أصبحت

العلاقات الدولية قائمة على استراتيجية التحالفات و المصالح وخاصة إذا تعلق الأمر بالمسألة الأمنية و الحدود .

3 / الدوران : هذه الميزة تتضمن عملية الانتقال من طبقة إلى نخبة أو من نخبة إلى نخبة وفق طبيعة مفهوم الحراك الاجتماعي

4 / المحافظة و الاحتكار : وهي سمة تتميز بها النخب من أجل الحفاظ على المستوى نفسه ، فهي تعمل على إعادة إنتاج نفسها أو تسعى من أجل ضمان البقاء و الاستمرار وذلك بالاحتكار و التقوقع على الرأسمال وعناصر القوة التي تملكها أو التي تريد أن تملكها سواء كانت بشرية أو أدبية أو مالية .

المحاضرة رقم 19 :

الفاعلون الاجتماعيون (4)

النخبة في المجتمع الجزائري :

تشكلت النخبة الجزائرية وخاصة منها المثقفة و المتعلمة ، عبر مراحل مختلفة من تاريخ الجزائر ، وحسب ما توفر لدينا من مصادر نحاول أن نتطرق إلى أهم هذه المراحل .

في العهد العثماني :

تشهد كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني أن التعليم كان منتشرا ، و أن كل جزائري تقريبا كان يعرف القراءة و الكتابة ، وقد كان التعليم حرا من سيطرة الدولة و من سيطرة الحكام العثمانيين ، حتى أن بعض الضباط الفرنسيين المشاركين في الحملة الأولى يقولون : عندما دخلنا الجزائر وجدنا أبناءها يقرأون ويكتبون أكثر من الفرنسيين (أبوالقاسم سعد الله ، ص 195)، أي لقد كان الإقبال على التعليم مزدهرا حتى إن نسبة المتعلمين في الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي كانت أرفع منها في فرنسا عينها .

إن الجزائريين كانوا يعرفون القراءة و الكتابة ، حيث يقول " ميشال هابارت " بوجود 100 مدرسة في مدينة الجزائر و 85 مدرسة في قسنطينة و50 مدرسة في تلمسان ، كما يذكر وجود عشر جامعات عبر أرجاء التراب الوطني عام 1830 . (seddik touati p 35.) ..

ويؤكد أحد الجنرالات الفرنسيين مصرحا يوم 1834/01/20 ، أمام غرفة النواب : إن كل العرب (يقصد به الجزائريين) بالتقريب يعرفون القراءة و الكتابة (الأشرف مصطفى 1983 ، ص 188) كما تؤكد المؤرخة الفرنسية " إيفون توران " في نقلها عن العديد من ضباط الجيش الفرنسي بأن التعليم العام كان منتشرا على نحو واسع ، وبأن معظم القبائل في الريف والأحياء في المدن كان لها معلّموها قبل الاحتلال الفرنسي ، كما تضيف شهادة أخرى أدلى بها "كاريت " ولاية بجاية حيث سرد الوقائع التالية : طلب أهالي بجاية مقابلتي وعند استقبالهم لم يشتكوا من حجز ممتلكاتهم و لا من فقرهم الشديد ، بل قالوا : " أصلحوا لنا مسجدنا وامنحونا مدرسة لائقة ، وادفعوا أي راتب لمعلمها حيث يتعذر علينا دفعه ، هذا كل ما نطلبه منكم " ..لقد تأثرت أيما تأثر بوجود مثل هذه التضحية . (y Turin ، 1971 ، ص 131)

ويؤكد هذا المعنى المؤرخ الفرنسي "بولارد" حيث كتب في مؤلف له جاء بعنوان "التعليم في الجزائر" ما يلي : كان في الجزائر في القرن 19 وما بعده مراكز ثقافية باهرة ، وكان فيها أساتذة متمكنّون في علوم الفلسفة و الفقه و الآداب و الطب و النحو و الفلك ، وكانت المدارس منتشرة في ربوع البلاد ، وكان التعليم فيها دينيا و مدنيا (مجلة الأصالة ، 1974 ، ص 71)

كما أكد المؤرخ نفسه قائلا : كانت هناك مدارس عديدة مخصصة لتعليم القضاء الشرعي والعلمي ، وكان السلاطين يختارون مستشاريهم من نخبة المتعلمين من خريجي المعاهد ، لكن وجود الفرنسيين أحدث اضطرابا بالغا بين هؤلاء المفكرين و الأدباء و اضطر معظم العلماء والفقهاء إلى ترك وظائفهم ، كما شتّت شمل التلاميذ الذين اضطروا إلى السعي وراء العلم في السر بعد أن كانوا يتعلمونه في حرية كاملة . (بن نعمان ، 2005 ، ص 225)

على العموم يمكن القول بأن الواقع التربوي الثقافي للمجتمع الجزائري أثناء الحكم العثماني هو صورة لمجتمع يتميز بالكثير من الميزات و الخصائص المؤكدة على ثراء التجربة العلمية وتطور نشاطها الثقافي رغم الشكل التقليدي الذي كانت عليه الصورة التعليمية ، بحيث لم يكلف الحكام أنفسهم الاحتكاك بباقي البلدان و الاطلاع على مختلف الاكتشافات التي حصلت في شتى أنواع العلوم و المعرفة ، وفيما يلي يمكن ذكر بعض المعالم المحددة للمشهد التربوي الثقافي في الجزائر قبل الاحتلال :

ـ انصراف الحكم العثماني في الجزائر إلى الجانب العسكري أكثر من أي جانب آخر وهذا له عوامله و أسبابه ، على رأسها طبيعة التواجد العثماني في الجزائر و طبيعة السلطة العثمانية في حد ذاتها .

ـ رغم أن الصورة التعليمية كانت تقليدية بسبب عزلة المجتمع الجزائري وانغلاقه على حاله ، وعدم تفتحه على حصيلة الخبرة الإنسانية وعدم الاستفادة من الخبرات العلمية كما حصل من ثورة صناعية في أوروبا مثلا ، وقد كانت هذه العزلة سببا في عدم تجديد مناهج التعليم وتطويرها وفق الأطر الحديثة ، إلا أن الوضع التربوي الثقافي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي كان على العموم يعرف النشاط و الحركية .

ـ المؤسسات التي كان لها الدور الأكبر في نشر الثقافة العربية و الإسلامية كانت تعرف بـ"الزوايا " أو " الرباطات " التي ظهرت خلال العصور الوسطى ، وأدت إلى حركات ثقافية

قُدّر لها أن تستمر، وتنتج نخب متعلمة و مثقفة ، وأصبحت مراكز للأدب و الإمامة و الإرشاد ، بالإضافة إلى المعاهد الدينية و الكتاتيب و المعمرات و المساجد .

ـ إن تمويل النشاط التعليمي في ذلك الوقت كان هو الإشكال المطروح على كل الأصعدة بالنسبة للكثير من المؤسسات الاجتماعية ، لكنه بالمقابل كانت تنشط حركة خيرية كآلية أو ميكانيزم اجتماعي اقتصادي تعرف بـ" الوقف " و التي كان لها دور في جمع الموارد المالية من خلال النفقات الأسرية و الشعبية : الصدقات ، الهبات ، التبرعات ..(شريك مصطفى ، 2005 ، ص 356)

مع تسجيل ملاحظة و هي مجانية التعليم في بعض المؤسسات هنا وهناك .

ـ سمة أخرى سجلها التاريخ ، وهي تتعلق بالمنهاج و طريقة التدريس المعتمدة في معظم المؤسسات التربوية و التعليمية ، وهي الاعتماد على الذاكرة و الحفظ .(تركي رابح ، العدد 88 ص 247)

في عهد الاحتلال الفرنسي :

يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 من أهم الوقائع التاريخية في العصر الحديث ، حيث كان صراعا بين حضارتين ، اكتسى وجوها مختلفة ، لكن جوهره واحد ، كان صراعا بين سُلّمين للقيم ، بحيث كانت قيم المجتمع الجزائري قد انصهرت تماما و ترعرعت في نطاق الحضارة الإسلامية (الميلي محمد ، 1984 ، ص 25) وكان هذا المجال الحضاري وقتئذ يعيش جملة من المتناقضات و الفراغات ، مما أضعف قوته وجعله محلّ طمع من طرف القوى الناشئة ، بينما كان مصدر القيم الفرنسية هو النهضة الأوروبية و الفكر الجديد المتصارع مع الفكر القديم ، وأداته هي الثورة العامة و إرادة التغيير على المستوى الاجتماعي و السياسي و الديني والفكري و التجديد الداعي إلى التوسع و غزو الأسواق في الداخل و الخارج و التنقيب على المواد الأولية (جورج لاباساد ، 1982 ، ص 26)

لكن لم يستهدف الاحتلال الفرنسي تراب الجزائر وحده ، بما في باطنه و ما فوقه من ثروات بشرية وطبيعية وحيوانية ، إنما استهدف الشخصية الجزائرية نفسها ، مما دأب على القضاء بل وعلى اجتثاث مُقوّماتها الاجتماعية و الثقافية و التاريخية ومصدرها الدين الإسلامي و اللغة العربية ، ولنا أن نتصور وضعية النخبة الجزائرية وسط هذا المخاض التاريخي العصيب .

من دون شك فقد وقف الجزائريون من الاحتلال الفرنسي موقف الرّفض و المقاومة ، ويكاد يكون هناك إجماع بين المؤرّخين و الدارسين على أن المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي قد مرّت بـ :

1ـ مرحلة المقاومة الشعبية المسلحة بعد الاحتلال مباشرة ، تحت قيادة شيوخ الزوايا و الكتاتيب القرآنية كـ " الأمير عبد القادر" و" الشّيخ المقراني " و" الشّيخ بوعمامة " و" الشيخ بوزيان "، وغيرهم كثير ، وقد رافقتها مقاومة أدبية كالشّعر و القصّة ، ثمّ إن الاعتماد على المقاومة الروحية كان من الدعائم الأساسية للنخبة الجزائرية ، ففي رسالة الشيخ "عبد الرحمن الثعالبي " حول الجهاد ، هناك إشارة واضحة و كلاما صريحا يشير إلى مدى تدهور الأوضاع السياسية في البلاد ، ومدى ضعف النخبة السياسية ، مما جعله يؤكد أهمية دور العلماء و المرابطين كنخبة روحية ، في قيادة الناس و في صدّ الأجنبي الغازي ، ففي هذه الرسالة التي لخّصها المؤرخ الجزائري " أبو القاسم سعد الله " في مؤلّفه التاريخ الثقافي للجزائر ، يهيب الشيخ "عبد الرحمن الثعالبي " بالعلماء وهم يشكلون النخبة المثقفة و النخبة الدينية ، أن يتحمّلوا مسؤولياتهم أمام الله و أمام الناس لردّ غارات بني الأصفر و يعني به الأوربيين ، غير أنّ من هؤلاء لم يكونوا في المستوى القيادي المطلوب وسط نسق سياسي فاسد وبالتالي لم تتوفر لديهم الشروط الضرورية التي تُؤهّلهم لقيادة المقاومة العسكرية ، مما اضطر بعضهم إلى الهجرة مثل الشّيخ " أحمد بن يحيى الونشريسي " الذي توجّه إلى مدينة فاس ، والشّيخ "عبد الكريم المغيلي " الذي توجّه إلى بلاد السودان ، وهناك من سلّط عليه الاحتلال التهجير و النفي إلى كاليدونيا الجديدة ، ومن لم يهاجر من تلك النخبة قد اختار التصوّف و الإرشاد واتّخذ لنفسه رباطا لتعليم الأجيال ما توفّر له من علوم الدّين مثل الفقه و الأصول و العقيدة ، ومع ذلك فقد كان لهذه النخبة دور كبير في المحافظة على تماسك المجتمع الجزائري ووحدته الدينية عقيدة و تشريعا (غلام الله بوعبدالله ، 2005 ، ص 29) .

دون أن ننسى دور الأسرة الجزائرية في تنشئة و تربين الأبناء ودفعهم دفعا إلى حبّ العلم والقرآن واللغة و الشيخ ، ثمّ إن الوضع التاريخي الذي وجدت فيه النخبة نفسها كان يفرض عليها أحد الاختيارين :

أ / إما أن تقبع سجينا في وطنك ودينك و ثقافتك ، لا تفارقها و لا تضيف عليها .

ب / و إمّا أن تخرج منها نهائيا إلى وطن و دين و ثقافة قد لا تعرفها .

2 – ثمّ سجّل التاريخ مرحلة أخرى طبعها نوع من التراجع و التردد و الانطواء من أجل المحافظة على ما تبقى من العنصر البشري و الأدبي نتيجة لحرب الإبادة التي مارسها الاحتلال ضد الشعب الجزائري ، وقد هيمن على المشهد الثقافي المنتوج الأدبي الشعبي و هيمنت الثقافة الشفوية بشكل عام .

3 – ومع مطلع القرن 20 تبدأ مرحلة النضال السياسي في التشكّل ، مع تسجيل تنوع في الأطروحات الفكرية من طرف النخبة الجزائرية ، واستغلال ما أمكن من الوسائل كالصحافة المكتوبة و النضال الحزبي و العمل الجمعوي ، وكانت النخبة تهفو إلى مسايرة الحضارة والاحتياج الدائم و المستمر إلى الثقافة ، فمنذ 1916 انطلقت الطلائع الجزائرية تغذي الروح الوطنية وتوقظ الهمم ، داعية إلى : العلم و التعلم و التثقف و إلى التطور في حدود القيم العربية الإسلامية و التمسك بالأصالة الجزائرية و أيضا التعريف بالتاريخ و بالشخصيات الجزائرية مع تقديم المطالب و المناداة بإصلاح الأوضاع ، كما ندّدت في الكثير من الأحيان بالتجنيد الإجباري و التجنيس و الاندماج و أيضا بالخرافات و البدع ، و بالتنصير و القوانين الجائرة وكذلك الآفات الاجتماعية (العلوي محمد الطيب ، 1994 ، ص 79) ، ومن بين أهم الأوعية التعليمية و الثقافية التي احتوت هذا الدور :

أ / جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة نخبة من الشيوخ كـ " عبد الحميد بن باديس " و"البشير الإبراهيمي" و" العربي التبسي" و " الطيب العقبي" وغيرهم كثير

ب / الكشافة الإسلامية الجزائرية وهي منظمة هامة دأبت على نفسها تخريج طلائع نخبوية متميزة و متدربة على مختلف الفنون و المهارات و القدرات .

تعتبر مرحلة النصف الأول من القرن 20 من أهمّ مراحل المقاومة الجزائرية فهي مرحلة انتقالية من المقاومة المسلحة إلى الثورة التحريرية ، وخلالها جرّبت النخبة الجزائرية أساليب سياسية و استخدموا وسائل رجّحوا فيها جانب العقل و المعرفة ضمن مرجعية روحية متأصّلة في المجتمع ، ضد محتل فرنسي لا يعترف حتى بكفاءة الجزائري ، ولا بقدرته الذهنية على استيعاب التطور الحضاري.

وتزداد هذه المرحلة أهمية تاريخية ، لكونها فترة أرادت أن تتشكّل فيها النخبة الجزائرية من جديد ، بعد محاولات المسخ و التدمير للبنية الفكرية و الثقافية ومقومات الشخصية الوطنية من طرف الاحتلال الفرنسي وقد تميّزت بمخاض فكري ، منطلقه : حاجة النخبة الجزائرية إلى

روح يقظة و إلى مسايرة الحضارة ، وموضوعه العمل على التوفيق بين صيانة المجتمع التقليدي أو الاقتباس من أجل بناء المجتمع الجديد ، فالتحدي قائم في هذه النقطة ، أي إيجاد أدوات التركيب بين الماضي و الحاضر ، حيث كانت الثقافة المنشودة هي التي تسعى إلى تلبية الحاجات بكيفية تراعي الاتجاهين :

ـ الاتجاه إلى مراعاة الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري

ـ و من جهة أخرى الاتجاه إلى الاقتباس من الثقافات الأجنبية (الأشرف مصطفى ، 1983 ، ص 421)

في خضم هذا النقاش ، انقسمت النخبة الجزائرية على وجهات نظر مختلفة ، حيث بقي الماضي عند البعض مجدا و عند البعض الآخر جمودا ، وظهر الحاضر عند البعض مقترنا بالاحتلال الفرنسي ـ الذي يحاول احتكاره لنفسه لكي تبقى له الغلبة و الهيمنة و منعه على الجزائري ـ وعند البعض الآخر وسيلة مفيدة يمكن استغلالها ، في حين يبقى طرف ثالث يحاول القيام بالتركيب .

في هذا المنحى ، بدأ يظهر اجتهاد النخبة الجزائرية ـ المغلوبة ـ من أجل تجاوز الظاهرة الاستعمارية ، بتعليم نفسه بنفسه رغم العراقيل ، هذا التعلم قد يسمح له بالتعويض عن ثقافته الشبه المحطمة كليا بثقافة ناشئة أراد أن يتوصل إليها البعض عن طريق اللغة العربية و التعليم التقليدي رغم محاولات التحديث ، كما أراد أن يتوصل إليها البعض الآخر عن طريق لغة أجنبية ، لم تكن متاحة للجميع مما ساعد على ثقافات مقتصرة على الخاصة من الناس كالموظفين و المعلمين و بعض رجال القضاء .

على هذا الأساس برزت ثلاثة كتل شكّلت النخبة الجزائرية :

أ / نخبة المثقفين ثقافة عربية إسلامية محضة ، محافظة و سلفية و تقليدية ، من أهم أهدافها المحافظة على مقومات و دعائم الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية و مقاومة الاحتلال بالتربية و الإصلاح

ب / نخبة المثقفين ثقافة فرنسية محضة ، وهي في حد ذاتها منقسمة إلى جزئين : جزء يتحصر على الثقافة الوطنية و جزء آخر من سماته التنكر للثقافة الوطنية و اتهامها بالركود و تحملها أسباب تخلّف المجتمع الجزائري .

ج / نخبة المثقفين ثقافة مزدوجة أو مركبة ، عربية إسلامية و فرنسية ، من سماتها التمسك بالأصالة و الاستفادة من الثقافة الغربية (مالك بن نبي) .

بين هذا و ذاك تطورت فكرة المقاومة عند النخبة الجزائرية إلى نضال شامل في الغالب معتمدا على تقنيات حاولت أن تكون أكثر حداثة و أن تكون أقرب إلى الاستخدام الصحيح ، كما تطورت من العمل الفردي إلى العمل الجماعي .

4 – في الأخير، تعود المقاومة لخيار الثورة المسلحة بعد أن استوفت شروطها الضرورية ، تقودها النخبة الجزائرية ذات البعد الثقافي والعلمي والسياسي وحتى الفني و الرياضي في مقدمتها العلماء والسياسيون والطلاب الثانويين و الجامعيين والنخبة الفنية و الرياضية .

النخبة الجزائرية بعد الاستقلال :

عرف المجتمع الجزائري بعد الاستقلال إلى يومنا هذا مراحل تاريخية متعددة ، نظرا لتعدد الأحداث و المعطيات السياسية ، ممّا أثّر على البنية الاجتماعية و الثقافية و على المعطى السوسيولوجي و الاقتصادي ، وهو بدوره أثّر على طبيعة النخبة و على إنتاجها و على مستويات ممارستها .

تزداد مرحلة الاستقلال و ما بعدها أهمية معرفية ، إذا تمّ الرجوع إلى التحديدات السوسيولوجية لمفهوم المرحلة نفسه ، باعتباره مفهوم اجتماعي قبل كل شيء وهو تغيير في التشكيلة الاجتماعية لفترة زمنية معينة من فترات نموها ، فالمرحلة هي مجموع منطقي ـ أين يساهم السكان كلهم أو معظمهم في هيكلتها و وظائفها ـ فانطلاق أو نهاية مرحلة ما ، يعود إلى تدخل وقائع سياسية و اقتصادية و ثقافية و اجتماعية ، تتم في وقت واحد و تسمح بإقامة نوع جديد من العلاقات الاجتماعية .(بوتفوشنت مصطفى ، 1987 ، ص 6)

من المعلوم أن الباحث السوسيولوجي لا يقسم المراحل الزمنية التي يمر بها أي مجتمع مستندا إلى تواريخ مجردة ، وإنما إلى حوادث مترابطة ، لها دلالات سوسيولوجية : 5 جويلية 1962 مثلا هو تاريخ بارز في الجزائر و مميز ، يشير إلى منعطف أساسي و مرحلة حساسة جدا بالنسبة للمجتمع الجزائري ، وهو يعبر عن الاستقلال من قيد الاحتلال الفرنسي ، فلما يأتي المنظور السوسيولوجي من أجل ربط الحوادث و المواقف ضمن خط طبيعي متراكم للمرحلة السابقة لهذا التاريخ ، ثمّ يتأمّل في الحوادث المتلاحقة لذلك التاريخ دائما ، مع شيء من التحليل الذي لا يسمح له بالتدخل في التاريخ إلا بمقدار الكشف عن المعطيات كما هي ، لا كما يراد لها

أن تكون ، ليجعل في الأخير من هذه المعطيات و الحوادث و المواقف عناصر ضرورية وكافية ، ومعالم أساسية في بناء مرحلة زمنية ما ، تسمى مرحلة سوسيوتارخية أو مرحلة تاريخية بقراءة سوسيولوجية ، بعيدا عن كل الأحكام المسبقة ، وبعيدا عن كل بتر أو حتى إضافة ، تُفقد المرحلة الدلالات و المعاني الموضوعية .

لذلك فالقراءة السوسيولوجية للتاريخ ، هي قراءة تكاد تكون مقنعة أو أكثر إقناعا كونها تحاول أن تحيط بعناصر الظاهرة إحاطة شاملة و موضوعية وخاصة تلك العناصر الخفية و التي يصعب الانتباه إليها و كشفها أو إثارتها ، " إن كل مرحلة تحمل في طياتها العناصر الضرورية للانطلاق نحو المرحلة التي تليها و المرحلة التالية لا تأتي للوجود إلا على أساس عجز ونقائص المرحلة الحالية " (بوتفوشنت مصطفى ، 1987 ، ص 7)

هناك من يميز بين نوعين من الاستقلال : الاستقلال السياسي و استقلال الذات الوطنية .

فالأوّل يعني تحرر الجنسية و هو أن يصبح للشعب المحتل جنسية مغايرة لجنسية الدولة التي كانت تحتل أرضه ، وما يستتبع ذلك من وجود علم وطني وعملة وطنية و نشيد وطني تمثّل جميعها رموز السيادة على التراب الوطني .(بن نعمان أحمد ،1991 ، ص 9)

هذا النوع من الاستقلال قد يحصل عليه المغلوب دون حرب أي بالحلول السياسية ذات الطابع السلمي ، أمّا استقلال الذات الوطنية فهو استقلال الشخصية و هو الأصعب ، كما أنه لا يتم بسهولة بعد احتلال الجنسية و لا ينتهي بسهولة بعد استقلال الجنسية .، وهذا الذي كان يراهن عليه الاحتلال الفرنسي من أجل إلحاق الجزائر بالنطاق الحضاري الفرنسي اللاتيني (من أجل إثراء هذا الجانب أنظر : (مغربي عبد الغني ، 1986 ، ص 16)

فيما يلي سأعرض مشهدا تاريخياً وهو بمثابة مؤشر على خصوصية مرحلة ما بعد استقلال الجزائر و قد يُعبّر على خصوصية النخبة الجزائرية بعد الاستقلال وكيفية انصهارها في خضم الأحداث السياسية و أثر ذلك على الجانب الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي أساساً ، دون أن ننسى أننا في مرحلة تصفية الاستعمار في كل القطاعات و خاصة في المرحلة الأولى من الاستقلال ، ولعلنا سنركّز اهتمامنا على المشهد الثقافي و خاصة ذلك الذي يتعلق بعلاقة الكتاب بمجتمع الكتاب و هو موضوع رسالة الماجيستر الذي قمنا بإنجازه في إطار سوسيولوجية الثقافة ولقد كانت انطلاقتنا من النظرية القائلة : سوسيولوجية الثقافة هي النظرية التي تعني بتحليل

العلاقة الموجودة بين أنماط الإنتاج الفكري ومعطيات البنية الاجتماعية وتحديد وظائف هذا الإنتاج في المجتمعات ذات التركيب التنضيدي أو الطبقي .(لبيب الطاهر ، 1987 ، ص 24)

بعد استقلال الجزائر ، كان الوضع الثقافي يقتضي تنظيم الهياكل من أجل مواكبة متطلبات المرحلة الجديدة ، و ذلك من خلال قطاع الثقافة ، غير أنه لم يصدر أي مرسوم منذ الاستقلال إلى غاية 1966، يتعلق بالكتاب أو النشر ، ما عدا بعض المحاولات الرسمية التي يبدو أنها لم تستطع أن تعالج الوضع و هذا يشير إلى أنه لم تكن سياسة الكتاب في الفترة التي تلت الاستقلال مباشرة قائمة على أسس متينة، و لم تكن اهتماما مطروحا للنقاش، بل رجعت السيطرة للكتاب الفرنسي عن طريق دار HACHETTE للنشر و هي من مخلّفات الاستعمار الفرنسي .

لكن في الفترة التي تمّ فيها حسم الخيارات السياسية للدّولة الجزائرية ، عمّ مفهوم الثورة ومفهوم التنمية السريعة ، جميع القطاعات بما فيها الثقافة، و الذي كان يُحدد التّصور الرسمي من خلال :

1 / المعركة ضد الجهل

2 / إجبارية التعليم و ديمقراطيته

3 / تشجيع الاتجاه العلمي و التقني

4 / المحافظة على التراث

5 / تشجيع الإنتاج الفكري و لكن في إطار المفاهيم السياسية السائدة.

و في جانفي 1966، وضعت الجزائر اللّبنة الأولى ، لانطلاق حركة النشر و تمثلت في الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، والتي كانت تتمتع بالاحتكار الكامل للكتاب ثم تلتها مجموعة من المؤسسات المختلفة.

غير أنه بقيت سياسة الكتاب في جزائر الاستقلال ، مرتبطة إلى حد بعيد بسياسة التّعليم ثم أن مؤسسات صناعة الكتاب ، كانت تابعة للسلطة السياسية ، في إطار ملكية الدّولة لوسائل الإنتاج و منها الإنتاج الفكري و الثقافي ، أما نسبة الاستيراد فكانت تفوق بكثير نسبة التصدير ، و رغم ذلك فإن سعر الكتاب كان منخفضا على العموم بسبب دعم الدولة له .

إنّ المتأمل في هذه المرحلة ، يجد أن الثقافة كانت في متناول المجتمع إلا أنها كانت مفروضة ومُوجَّهة ، نتيجة للتسيير المركزي ، و الأبوية السياسية ممّا سبّب غياب الحرية الفكرية ، وخنق المبادرات ، و هذه المرة ، كانت تبدو علاقة الكتاب بمجتمع الكتاب أنّها موصولة وواضحة ، ولكن في اتجاه واحد ، أي الكتاب يحدد مجتمع الكتاب بحيث كان الكتاب يمثل على العموم فكرة السلطة ، أما أعضاء مجتمع الكتاب ، فكانوا يتفاعلون عضويا، في إطار إيديولوجية السلطة دائما.

أما المرحلة التاريخية التي تشمل الثمانينيات و التسعينيات ، و هي المعنية بالدراسة الميدانية ، و هي تعبر عن مرحلة جديدة ، دخلها المجتمع ا لجزائري ، حيث شكّلتها سياسة الإصلاحات وإعادة النظر في جميع القطاعات بهدف الخروج من سياسة الإنجازات الكبرى و الخطاب التعبوي ، إلى فتح مجال المبادرات و الحريات الفردية ، و بدأت تظهر بوادر بناء رأسمالية ، ببناء مجتمع استهلاكي .

غير أن هذا التّحول نحو التعددية الفكرية و حرية التعبير و النشر لم يكن بالأمر السهل بالنظر إلى التراكمات التي خلّفتها المراحل السابقة ، بالإضافة إلى معطيات الواقع الاجتماعي والاقتصادي : كالتدهور في أسعار البترول ، ارتفاع نسبة البطالة ، و ارتفاع نسبة الهجرة إلى المدن ، انهيار العملة الوطنية و غيرها.

أما فيما يخص علاقة الثقافة بالمجتمع ، فقد ظهرت صراعات ثقافية فكرية من جديد من خلال مواقف إيديولوجية ، والتي تحصّلت من جهتها على شيء ضروري و هو الحرية ، و خاصّة منها الثقافة المعارضة للسلطة .

لك أن تتصور كيف هي النخبة الجزائرية بين هذه الأحداث وهذه التجاذبات السياسية وأثر ذلك على المعطيات الاجتماعية و الاقتصادية .

المحاضرة رقم 20 :

دور الحركات الاجتماعية في التغيير الاجتماعي

الحركة الاجتماعية :

إنّ مصطلح الحركة الاجتماعية يشير إلى الجهد الملموس و العيني و المستمر بانتظام وفق جداول تشغيلية ومخططات تهدف إلى الوصول إلى غايات مشتركة قابلة للتطبيق و التحقيق ، والذي تبذله جماعة اجتماعية ما ، ويتجه هذا الجهد نحو تعديل أو تغيير أو تدعيم موقف اجتماعي قائم ، غير أنّ هناك تحديدات مهمة لم تأخذ حيّزها في هذا التعريف ، مثل :

ـ درجة التنظيم في الجماعة

ـ وضوح الأهداف

ـ مدى تطبيق الأهداف

و هذه مسائل مهمة ورغم ذلك فهي نسبية ، تختلف من حركة اجتماعية إلى حركة اجتماعية أخرى ، مع مراعاة الزمان و المكان و الطاقة و المادة (المضمون) .

لقد أسهمت أعمال " بلومر " في مناقشة و بلورة مفهوم الحركة الاجتماعية من خلال دراسته للسلوك الجمعي ، وقد أشار إلى أنها عبارة عن مشروعات جماعية تهدف إلى إقامة نظام جديد للحياة ، وهي تستند إلى إحساس بعدم الرضا عن النمط التقليدي أو السائد و الرغبة في بناء نسق جديد (محمد عاطف غيث ، 1989 ، ص 428) ، كما أن الحركات الاجتماعية على اختلاف مستوياتها تحتاج إلى :

أ / نموذج محدد للتنظيم

ب / منظومة من القيم الاجتماعية

ج / عادات و تقاليد

د / أدوار ومراكز

هـ / قيادة متحكمة و متمكنة

و / أهداف واضحة

المحاضرة رقم 21 :

دور " المجتمع المدني " في التغيير الاجتماعي

الملاحظ أني وضعت مصطلح "المجتمع المدني " بين مزدوجتين ، لا لشيء إلا أن المنظومة المعرفية السوسيولوجية تتحفظ على مصطلحات لم تنتجها هي ، وتنتجها غيرها من المنظومات الأخرى كالصحافة و الإعلام أو السياسة أو غيرها من الفنون و العلوم والحقول المعرفية ، لكن سنحاول أن نضع معنى المصطلح في نصابه و نبحث عن المؤشرات و الأبعاد التي يحتاجها موضوع التغيير الاجتماعي من أجل التحليل و المناقشة .

يرى " فريديريك هيجل " أن إنشاء المجتمع المدني يرجع إلى العالم الحديث ، فهو وحده الذي اعترف له بالحق في الوجود بكل ما يحمله هذا التحديد من معنى ، إذ هو يتموقع في الفرق الموجود بين مؤسسة الأسرة أو أي جماعة قرابية و أجهزة الدولة (السلطة) ، وهو يتكوّن بعد وجود الدولة وهو بمثابة واقع مستقل حتى يتمكن من البقاء .

إن المتأمل فيما يجري من أحداث حول العالم ، يلاحظ تحركات " المجتمع المدني " ، حيث تختلف أدواره في الحياة العامة للناس غير أن أهم دور لمنظمات المجتمع المدني وفق ما يراه خاصة أصحاب الفكر السياسي أو " السياسوي " هو:

ـ دور الوساطة بين أجهزة النظام السياسي و المواطنين

ـ ترقية الثقافة المطلبية

ـ نشر ثقافة المواطنة و الوعي بالحقوق و الواجبات

ـ ترقية الحس العام

ـ نشر قيمة التعايش بين الناس

ـ توعية المجتمع بالتغيير الديموقراطي

ـ تكريس قيمة السّلم و الحوار في إحداث التغيير الاجتماعي

ـ تكريس مفهوم التنمية لدى المواطن .

يتكون المجتمع المدني من عدة روابط و مؤسسات و منظمات ، من أهم خصائصها أو شروطها التي تعتمدها :

أ / " الاستقلالية " : و هو مفهوم يحتاج إلى محددات ومناقشات لأنه مرتبط بمفاهيم أخرى قد تدعمه أو تُشوّش عليه مثل الثنائيات التالية : الموضوعية والذاتية ـ الحرية والالتزام ـ الإيديولوجية والإنتاج العلمي أو الفني وهكذا .. .

ب / الديموقراطية : و يشير هذا المفهوم إلى طريقة في الحياة تجعل كل فرد يعتقد أن لديه فرصا متساوية للمشاركة بحرية كاملة في قيم المجتمع وتحقيق لأهدافه العليا و المشاركة في اتخاذ القرارات (عاطف غيث ، القاموس ، 1989 ، ص 123)

ج / الإعلام الحر أو المستقل : هل هو موجود أو متواجد ؟

هي دعوة للنقاش وتحديد المفهوم أكثر فأكثر ، لأن ما هو معلوم أن الكتلة التاريخية المهيمنة على السلطة ، و القرار السياسي لها أنظمة أو أجهزة تعمل على إعادة إنتاج أيديولوجيتها ومن أهمها وسائل الإعلام ، كما للنخب أو الكتل المعارضة إعلام أو صحافة تنطق باسمها ، فكلمة مستقل .. عن من ؟ أو عن ماذا ؟

د/ السلمية : وهو ما يقابل العنفوان و العنف بكل أصنافه .

ومن بين هذه المكونات و الروابط :

ـ **المنظمات غير الحكومية** : هي عبارة عن هيئات عالمية و نشاطها واسع عابر للقارات ، غير أن نشأتها و القانون الذي ينظمها والعضوية فيها و تمويلها هي عناصر ينتابها شيء من الغموض والضبابية .

ـ **الجمعيات** : وهي مؤسسات معتمدة و مرخص نشاطها عن طريق القانون ، تتشكل من شخصيات عضوية تجتمع و تنشط من أجل أهداف متفق عليها ضمن برامج مسطرة و مخطط لها في مجال من المجالات الاجتماعية أو الثقافية و الفنية أو الإنسانية وهكذا .. .لكنها مراقبة من طرف السلطة التي قد تمولها أيضا أو تؤطرها .

ـ **الأحزاب** : هي تشبه الجمعيات في بنيتها ، غير أنها تنشط أكثر في المجال السياسي و قد تكون موالية للكتلة التاريخية الحاكمة أو هي نفسها ، كما قد تكون معارضة لإيديولوجية السلطة المهيمنة ، بل و تعمل وتسعى إلى بلوغ مراكز القرار السياسي عن طريق الانتخابات المحلية أو

البرلمانية أو حتى الرئاسية ، وتتمثل علاقتها بـ " المجتمع المدني " في استغلال الوعاء الانتخابي بكل ما يتضمن من فئات أو ثقافات فرعية ، عن طريق حملات التوعية أو عن طريق واجهات متعددة كالجمعيات و النوادي في مختلف الأنشطة .

ـ **النقابات** : غالبا هي مؤسسات مطلبية ، ترافع و تدافع عن الحقوق وتناقش قضايا تتعلق بأجور العمال و ظروف العمل أو حتى ظروف الدراسة إذا تعلق الأمر بالطلبة الجامعيين ، وهي تُعد شريكا اجتماعيا قويا داخل تركيبة " المجتمع المدني" مادام أنها هيئة أو هيكل حقوقي مرتبط أكثر بالطبقات الاجتماعية العمالية .

ـ **النوادي** : ارتبط هذا الاسم بالنشاطات الأدبية والفنية و الرياضية والثقافية ، وهي فضاءات للإبداع وترجمة الأفكار الخارجة عن العادة و العاديين ، ولذلك فهي تشمل المبدعين و الفنانين و ذوو الخصوصيات .

الإعلام المستقل : وضعنا مصطلح " إعلام مستقل " للنقاش و التحليل ، ولكن إلى أن ينضج يمكن اعتبار الإعلام و وسائله ، هو كل عمل له علاقة بعالم الصحافة أو الإنتاج الإعلامي الموجه لحماية الرأي و الرأي الآخر ، والدفاع عن الفكرة الحرة و الديموقراطية ومحاربة الفساد بكل مستوياته وظواهره ، ومحاولة التأثير على الرأي العام وتوجيهه و تنبيهه و العمل على يقظته و التنويه بكل التجاوزات و أنواع الفساد .

الأسس التي يعتمدها المجتمع المدني :

أ / ثقافة العمل الجماعي وهي استعداد نفسي اجتماعي أساسي مادامت التنظيمات تضُم تجمعات بشرية أو مجموعات منظمة تحتاج هذه الدعامة أصلا ، وفيها من تقسيم للعمل ما يسمح بالنشاط و التنشيط المتعدد في بنيته و المُوحَّد في أهدافه أي أن الأعمال متعددة و مختلفة و موزعة حسب السن و الجنس و التخصص داخل منظمة واحدة ، غير أن الأهداف مشتركة بين كل الفاعلين الاجتماعيين في تلك المنظمة .

ب / القدرة على التنظيم الجماعي و ممارسة الفعل الاجتماعي المرتبط دوما بالبرامج المسطرة من أجل تحقيق أهداف محددة ، وكل تنظيم يضم أعضاء تمّ انضمامهم بكل إرادة و وعي وحرية و تراضي ، وفق قواعد العضوية الخاصة بذلك التنظيم ، وغالبا ما تعمل التنظيمات بنظام "التبطيق" أي لكل عضو ينتمي إليها يحصل على بطاقة خاصة مقابل ملف إداري يمثل هوية العضو و تخصّصه مثلا ، وهذا ما يميّز كل التنظيمات المشكّلة " للمجتمع المدني " ، عندها

يمكن القول أن المجتمع المدني هو الجزء المنظم رسميا أو شبه رسمي داخل المجتمع العام ، وهذا ما نجده في :

ـ الجمعيات

ـ الأندية الرياضية أو النوادي الثقافية و الفنية

ـ الأحزاب

ـ النقابات

ـ الغرف التجارية أو الصناعية

ـ الكشافة

ـ التعاونيات

ـ الاتحادات الطلابية

ج / توفر الفعل الإرادي الشخصي المتميز بـ :

1 - الوعي والفهم

2 - الحرية و التحرر (وهي مفاهيم فلسفية نفسية اجتماعية ، يشرحها المحاضر للطلبة ، ويحاول أن يربطها بموضوع : دور المجتمع المدني في التغيير

لذلك فالجمعية تختلف عن الأسرة أو القبيلة ، ففي الجماعة القرابية لا دخل للفرد في اختيار عضويته فهي إجبارية و لم يخترها هو ، بحكم أصل مولده أو الإرث داخل حراك اجتماعي محكم بقواعد العرف و العادات و القيم الاجتماعية ، وهذا من أسس ما يجب أن يدرسه الطالب حول ديناميكية الجماعة و أنواعها .

د / هناك دعامة أساسية ذات البعد الأخلاقي و القيمي وهي بمثابة القاعدة الأولى التي يجب أن تتوفر في كل عضو داخل تنظيمات " المجتمع المدني " ، وهي :

ـ القدرة على تجاوز الأنانيات و المصالح الفردية الضيقة و نكران الذات

ـ الاستعداد للتسامح والتعايش مع الآخر و الاحترام المتبادل

ـ الالتزام بالضوابط و المعايير المحققة لثقافة الاختلاف وإدارته داخل الأطر السلمية

ـ القدرة على التعاون و التنافس .

المحاضرة رقم 22 :

وسائل الإعلام و التّغيير الاجتماعي

يأتي دور الإعلام في التأثير على موضوع التغيير الاجتماعي من كونه يشكّل ـ خصوصا المرئي و الفضائي منه ـ الوسيلة الإعلامية و الثقافية الأوسع انتشارا و تنوعا ، والأكثر تأثيرا في الجمهور ، على اختلاف شرائحه العمرية و الجنسية وفئاته المعرفية و المهنية ، نحن اليوم بصدد ثقافة الصورة المرئية ذات القدرات التأثيرية و الإقناع غير المسبوق في تشكيل الإدراك و القيم و الاتجاهات و المواقف و الرأي العام و بالتالي السلوكات الاجتماعية .

يشهد العالم اليوم تحولات متزايدة في مرجعيات صناعة الرؤى و القيم و التوجهات من المؤسسات التقليدية كالأسرة و المدرسة و كل مؤسسات المجتمع المحلي إلى المؤسسات الإعلامية الفضائية ، وبالتالي ، فإنّ دور الإعلام المرئي أصبح محوريا في التغيير الاجتماعي و في التنمية المجتمعية ، على أن ثقافة الصورة (الفضائية) ذات الإمكانات غير المسبوقة ، هي أحد أبرز عوامل التأثير السلبي في خضم هذا التغيير ، وذلك من خلال :

ـ شيوع الإثارة الآنية

ـ الترويج لقيم الاستهلاك

ـ الترويج لنزعة البحث عن الملذات

ـ تضخيم الفردية و قيم الأنانية

ـ تسطيح الوعي

ـ التشويش على قيم الانتماء

ـ خلخلة روح الولاء

وهذا ما يطرح ضرورة إعادة النظر في توجهات الإعلام المرئي ، وبناء منظومة اجتماعية ثقافية و إعلامية بمثابة صمام الأمان للمجتمع ، بل وتوظيف القوة الهائلة التي تتمتع بها وسائل الإعلام لصالح أهداف و خطط التنمية المجتمعية وبناء جودة الحياة الفاعلة ، وهذ من أبرز معاني التغيير الاجتماعي .

المحاضرة رقم 23 :

العولمة و التغيير الاجتماعي

إنّ انفتاح الكيانات الوطنية على العالم ، وبشكل غير مسبوق في سرعته وحدّته ، أبرز مكامن الضعف و الثغرات في البنية الاجتماعية لهذه الكيانات ، كما أنّ ما تحمله العولمة معها من مشكلات : البطالة و الفساد و التلوث و تصاعد الصراعات العنيفة ذات الطابع الطائفي و الاثني و الثقافي ، وتغيرات في أسس الهوية واختراقات ثقافية على اختلاف مستوياتها ، وسيادة منطق السوق و الربح الآني على كل ما عداه من اعتبارات في النشاط الاجتماعي ، كل ذلك و غيره أخذ يطرح بشدة قضايا الأمن الاجتماعي ، وتماسك و استقرار و انسجام الكيانات الوطنية ومناعتها (حجازي مصطفى ، 2001 ، ص63)

لقد أضحت قضية الحصانة الوطنية و قضية الأمن الاجتماعي من الأولويات في السياسات الاجتماعية و في التخطيط الاجتماعي ، حيث لا يمكن ضمان الحظوظ و المكانة لهذه الكيانات إلا بمقدار عافيتها الداخلية ، التي تشكّل أساس حصانتها في عالم الانفتاح ، و تسارع التغيرات و تزايد الضغوطات .

على أنّ الأمر يتجاوز مجرّد الوقاية و الحصانة كإجراءات من أجل مواجهة التحديات الخارجية ـ خاصة ـ التي تحملها العولمة ، بل الأمر يحتاج إلى تغيير في إعادة ترتيب الأولويات : من التركيز على النمو الاقتصادي إلى القيام بمهام التغيير الشامل بما يحقق التنمية الشاملة ، في ما يدخل ضمن إطار التنمية البشرية المستدامة ـ على منوال المجتمعات المتقدمة ـ وبناء جودة حياة فاعلة ، ولقد تزايد الاقتناع بين النخب و الفاعلين الاجتماعيين و الخبراء و المعنيين بالشأن العام على اختلاف مجالاتهم و تخصصاتهم بأن التنمية المجتمعية هي الخيار الذي يوفر الضمانات الفعلية للارتقاء بالكيانات الوطنية .

جاء في أدبيات الأمم المتحدة حول مفهوم التنمية البشرية المستدامة تحديد و تعريف ، مفاده أنها تنمية الإنسان و الأجيال القادمة و المرأة و البيئة من خلال التمكين و إطلاق عملية توسيع القدرات و الخيارات للناس ، ويتضمن ذلك بـ :

ـ رفع مستوى تمكين الناس من خلال زيادة قدرتهم الإنتاجية

ـ و بتأهيلهم و تدريبهم معرفيا و مهنيا

ـ كما يتضمن حقهم في الاستفادة من ثمار إنتاجهم بواسطة عدالة توزيع الثروات الوطنية

ـ والحق في العيش في بيئة طبيعية و اجتماعية قابلة للحياة و خالية من أخطار التلوث الكيميائي و السلوكي و الأخلاقي

ـ وحفظ حقّ الأجيال الطالعة بالثروة الوطنية وبحياة أفضل في بيئة صحية

ـ والحق في الثقافة و الارتقاء الفكري .

ويتم ذلك كله من خلال الحق و الواجب في صناعة المصير الذاتي و المشاركة في القرارات عبر مؤسسات المجتمع المدني ، إنها مسألة بناء نوعية الحياة قادرة على توجيه ذاتها واستمرارية تقدمها ، وهي لا تعني مجرد الرفاه المادي و القدرة على الاستهلاك ، رغم أهميتها بل هي تعني أساسا الارتقاء الكلي على مستوى مختلف الوظائف و العلاقات و التفاعلات والتوجهات .

قائمة المراجع

(مرتبة بالأبجدية)

باللغة العربية :

ـ ابن خلدون (عبد الرحمن) : **مقدمة ابن خلدون** ، دار الجيل ، بيروت .

ـ أبوعشة (براهيم) : **الثقافة و التغير الاجتماعي** ، دار بوسلامة ، تونس ، ط1 ، 1983

ـ الأشرف (مصطفى) : **الجزائر الأمة و المجتمع** ، تر : حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

ـ برنارد (جون) : **دراسات عائلية (مدخل تمهيدي)** ، تر: أحمد رمو ، دار علاء الدين ، سوريا ، 2002 .

ـ بن نبي (مالك) : **مشكلة الثقافة** ، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ط4 ، 1984

ـ بن نعمان (أحمد) : **فرنسا و الأطروحة البربرية في الجزائر** ، منشورات دحلب ، 1991

ـ بن نعمان (أحمد) : **وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال** ، مجلة اللغة العربية ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، عدد ممتاز ، 2005

ـ بوتفوشنت (مصطفى) : **مراحل تكوين البنية الاجتماعية في الجزائر** ، مجلة علم الاجتماع ، opu ، العدد 3 ، الجزائر ، ماي 1987

ـ تركي (رابح) : **مجلة الثقافة** ، السنة 15 ، العدد 88 ، الجزائر .

ـ جورج لاباساد : **مقدمات في علم الاجتماع** ، تر : هادي ربيع ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ، لبنان ، ط1 ، 1982

ـ حجازي (مصطفى) : **علم النفس و العولمة ـ رؤى مستقبلية في التربية و التنمية** ـ شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، لبنان ، ط1 ، 2001

ـ حميدة (حسين) : **طبيعة العلاقة بين الإنتاج الفكرى و البنية الاجتماعية** ، رسالة لنيل الماجيستر ، إشراف عبد الغني مغربي ، جامعة الجزائر، 2001/2000

ـ حميدة (حسين) : **موقف الأسرة الجزائرية من روضة الأطفال** ، أطروحة دكتوراه ، إشراف جمال معتوق ، جامعة البليدة ، 2011

ـ الرشدان (عبد الله): **علم اجتماع التربية** ، دار الشروق ، الأردن ، 1999 .

ـ سعد الله (أبو القاسم) : **تاريخ الجزائر الحديث** ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، 1976

ـ السمالوطي (نبيل) : **علم اجتماع التنمية** ، دراسة في اجتماعيات العالم الثالث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط4 .

ـ السويدي (محمد) : **مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1991

ـ شريك (مصطفى) : **اللغة العربية و الاستراتيجية الاستعمارية** ، مجلة اللغة العربية ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، عدد ممتاز ، 2005

ـ العلوي (محمد الطيب) : **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 / 1954** ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، ط2 ، 1994

ـ غلام الله (بوعبد الله) : **نظرة على التعليم الأهلي في سهل الشلف خلال النصف الأول من القرن العشرين** ، مجلة اللغة العربية ، عدد ممتاز ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2005

ـ غيث (محمد عاطف) : **علم الاجتماع** ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1989

ـ غيث (محمد عاطف) : **قاموس علم الاجتماع** ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1989

ـ لبيب (طاهر) : **سوسيولوجيا الثقافة** ، دار محمد علي الحامي ، تونس ، 1987

ـ محمد حسن (عبد الباسط) : **التنمية الاجتماعية** ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1977 ، ط2

- الميلي (محمد) : **الحالة السياسية داخل الجزائر و خارجها .. من اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام** ، أوراق الملتقى الثاني لتاريخ الثورة ، ماي 1984 ، ج2 ، المجلد 2 ، الجزائر

- همام (طلعت) : **سين وجيم عن علم الاجتماع** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1989

- وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية : **مجلة الأصالة** ، السنة الرابعة ، العدد 17 / 18 ، الجزائر ، 1974/1973 .

باللغة الفرنسية :

_MEGHERBI (Abdelghani) : **culture et personnalité algérienne de Massinissa a nos jours** ; ENAL , OPU , Alger , 1986

_ Seddik Touati **: La formation des cadres pour le développement** ; opu , Alger , sans date .

_ Turin Y **: Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale** , Maspero ; Paris ; 1971